الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس ــ مستغانم
كلية العلوم الاجتماعية
شعبـــــة الفلسفـــــة

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الفلسفة العامة

الموسومة بـــــ:

مشروع الإنسان في فكر مالك بن نبي

من إعداد الطالبة :
خاطر شهرزاد

تحت إشراف الأستاذ:
أ.د. العربي ميلود

السنة الجامعية:
2020- 2021 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس ــ مستغانم
كلية العلوم الاجتماعية
شعبة الفلسفة

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الفلسفة العامة الموسومة بـــــ:

بعنـــــــوان:

مشروع الإنسان في فكر مالك بن نبي

من إعداد الطالبة :
خاطر شهرزاد

تحت إشراف الأستاذ:
أ.د. العربي ميلود

السنة الجامعية:
2020- 2021 م

شكر

قال الله تعالى:" ولئن شكرتم لأزيدنكم"

أشكر الله تعالى على نعمة العلم التي رزقني بها وأنعم بصري بنوره فسبحانه له الحمد والشكر لا إله إلا هو .

أتقدم بالشكر الجزيل إلى والداي اللذان كان لهما دور كبير في إتمام هذا العمل.

كما أتقدم بالشكر لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل المتواضع من قريب كان أو من بعيد .وعلى رأسهم الأستاذ المشرف العربي ميلود لما قدمه لي من توجيهات ونصائح ومتابعة مستمرة . وكذلك الأستاذ المحترم سباعي لخضر والأستاذة بوصوار نجمة. وكل من قدم لي يد العون في مشواري الدراسي، كما أشكر جميع موظفي وطلبة قسم الفلسفة.

ولا أنسى أن أتقدم بجزيل شكري وإمتناني إلى أخواتي اللّواتي كان لهما الفضل في التخفيف عليا متاعب هذه المذكرة .

إهـــداء

إلى من قال الله في حقهما: " وبالوالدين إحسانا...."

إلى بحر الحنان ، إلى صاحبي قلب أحبني مدى الزمان ،إلى سر وجودي والعيون التي سهرت على مراقبتي وراحتي تمنيا أن يراني في أحسن الأحوال ، إلى أعز وأغلى ما في الوجود كوكباي المنيران حبيباي أمي وأبي إليكما أهدي ما كتبت حفظكما لي إلهي الرحمان.

إلى إخوتي أغلى ما عندي في هذا الوجود :محمد الأمين وحنان وحفصة ،إلى كل الأهل والأقارب .

إلى صديقاتي وأخواتي اللواتي لم تلدهم أمي : ملوكة، رانيا، عيشة، زهرة.

إلى كل من نسيهم قلمي ولم ينساهم قلبي إلى كل طلبة قسم الفلسفة لسنة 2021/2020 .

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل.

شهرزاد .

مقدمـــــة

إن المشروع الإصلاحي يبدأ بتغيير الإنسان ، فالإنسان هو الهدف وهو نقطة الارتكاز والبدأ في التغيير والبناء الحضاري،وهو الوحدة الأولى التي تكوّن المجتمع، كانت هذه من بذور النهضة التي كافح من أجلها ، ومتن جذورها وطيب سمادها مناضل من ابرز رجال الفكر الإسلامي العالم والمفكر الإصلاحي مالك بن نبي الملقب بفيلسوف الحضارة البشرية،استطاع بشخصيته الفذّة الدخول إلى التاريخ من بابه الواسع وهو من أبرز المفكرين والفلاسفة الذين ذكرت نظريتهم في الحضارة، صنع مكانته في فكره الإصلاحي المتميز، فتألق نجمه في سماء الحركة الإصلاحية التجديدية في العالم الإسلامي المعاصر، وذاع صيته خارج العالم الإسلامي، وصار واحد من كبار قادة الفكر ورواد الفلسفة إلى غاية عصرنا هذا. وهو أول مفكر إسلامي عالج القضايا الاجتماعية معالجة رياضية عرف كيف يدمج ويناغم بين العناصر الحيوية في الحياة المتمثلة في(الإنسان- التراب- الوقت) فصنع حضارة وجعل المحرك الأساسي فيها هو الدين، ومزج هذه العناصر بالثقافة ليعطي بذلك مفهوما للحضارة الإسلامية، والتمييز بين شخصياتهم وثقافاتهم عن الحضارة الغربية ومقوماتها، ولا يأتي ذلك إلاّ عن طريق التربية للأفراد والمجتمعات على هذه الثقافة الأصلية الضاربة بجذورها في عمق التاريخ فاتخذها منطلقا لتحليل وتشخيص الواقع المزري الذي وقع للأمة من انحطاط وتخلف، واقتراح الحلول لمعالجة مشكلاتها والعمل على النهضّة.

فسبب أزمة إنسان العالم الإسلامي (إنسان مابعد الموحدين)حسب رأي مالك بن نبي هي في جوهرها أزمة حضارية ، وأكثر مشكلة تعرض لها هذا الإنسان هي التخلف وعجز الأفراد عن تطبيق مواهبهم في التراب والوقت واهتمامهم بالمظاهر الزائفة التي تبرز تناقضا صارخا بين الظاهر والجوهر وتمسكهم بالعادات السلبية، فطرح مفهوم القابلية للاستعمار، التي لم يتفطن لها الكثير خاصة الذين اعتمدوا السياسة التي تقتصر على مجرد شعارات ونسيت مواجهة ومحاربة المشكلات الداخلية القابلة للاستعمار من خلال فكرته هذه (القابلية للاستعمار) يشير إلى الضعف الحضاري وتفكك المجتمع الإسلامي هذا ما جعله فريسة أطماع الدول الغربية، فرأى من خلاله أنه مهيأ وقابل للاستعمار. ولحل هذه الإشكاليات لابد من التغيير والتغيير يكون من أنفسنا، وذلك من خلال استناده على أسس القاعدة الإلهية التي تعبر عنها الآية القرآنية { إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم}. فظاهرة التغيير مجالها النفس أولاً ثم المحيط الخارجي ومن منطلق هذه الأفكار لدى بن نبي التي تقدّم رؤية

إنسانية لمشروع تغيير جذري والعودة بالمجتمعات الإسلامية إلى دورة حضارية جديدة .تأسيسا على ماسبق نطرح الإشكالية التالية:

- ما طبيعة مفهوم الإنسان عند مالك بن نبي؟ وما تجلياته في سؤال الحضارة والثقافة ؟
- وينبثق عن هذه الإشكالية المركزية مجموعة من التساؤلات الفرعية وهي كالتالي:
- ماهي عوامل التخلف الحضاري التي أصابت المجتمع الإسلامي؟
- ولما تعتبر الفكرة الدينية كمنهاج إسلامي مفتاح الإشكالية وأساس البناء فيها؟
- ماهي أبرز السمات المرضية التي أصابت المجتمعات الإسلامية ؟ وما مدى تأثيرها في المسار الحضاري للإنسان؟ وما مدى قيمة إدراكها في بعث الإنسان وإعادة صياغة النموذج المفتقد؟
- من بين الأسباب الذاتية التي دفعتني إلى اختيار الموضوع هي كون المفكر ينتمي إلى بلدي الأم الجزائر، ولاعتباره رمز من رموز التقدم والتطور والإقلاع الحضاري .

استطاع بثقافته المنفردة وفكره الواسع أن يؤثر على العالم وبالخصوص المجتمعات الإسلامية وذلك راجع بتشربه المعرفي الإسلامي الذي طبقه في كل ما كتب .عاش مخلصا مؤثرا في بلده الجزائر.

ومن بين الأسباب الموضوعية التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع هي:

- كونه أول مفكر إسلامي يتفطن لمفهوم القابلية للاستعمار ومدى خطورة هذا المصطلح الذي يرى من خلاله أن أهم مشكلة تواجه العالم الإسلامي تكمن في الإنسان بحد ذاته .هذا الإنسان الذي فقد فعاليته في الحضارة .
- الإنسان هو الحجر الأساس في فكر مالك بن نبي وهو محور اهتمامه في كل أعماله الفكرية وهو مصدر النجاح والبناء في أي مشروع إنساني أو فشله ، فإذا تحرك تحرك معه التاريخ وإذا توقف توقف معه.
- يرى مالك بن نبي أن الإنسان أساس الحضارة ، ووسيلتها وهدفها ، فهو يؤثر في حركة المجتمع ، يؤثر في حركة المجتمع .يؤثر بفكرة وبيده وعمله وماله.
- وبخصوص منهجية البحث فقد استدعت مني توظيف المنهج التحليلي.

أما فيما يخص خطة البحث فهي تتكون من مقدمة يليها الفصل الأول الذي كان موسوم ب:"الإنسان في معادلة الحضارة لدى مالك بن نبي وينقسم إلى مبحثين المبحث الأول الدلالات المفاهيمية في مشروع مالك بن نبي ويشمل مجموعة المفاهيم المركزية في مشروعه الإنساني.والمبحث الثاني تضمن تصور الإنسان في مشروع مالك بن نبي،يتجلى فيه الحديث عن دور الإنسان في معركة الحضارة .

أما الفصل الثاني فقد خصصته في دور الإسلام والتجديد الحضاري في فكر بن نبي،حيث قسمت هذا الفصل في مبحثين تطرقت في المبحث الأول "الفكرة الدينية ودورها في بناء الإنسان المعاصر،والمبحث الثاني "قراءات في مشروع مالك بن نبي" وما موقعه في الفكر الإسلامي المعاصر. وأنهيت عملي بخاتمة كانت عبارة عن حوصلة لكل ما سبق أو بالأحرى لمجمل الأفكار التي حاولت استعراضها من خلال هذا البحث المتواضع أرجو أن يتوج بالتوفيق والنجاح .

وفي نهاية المطاف لا يمكن أن أذكر الصعوبات التي تلقيتها طيلة المدة التي أنجزت فيها البحث وذلك شأن أي باحث مبتدئ يقتضي الأثار متعثراً قلقا لطريق لم يكن حافلا بالورود ولكن إدراكي المسبق لكل هذا جعلني أحس بلذة البحث رغم عنائي ، فأول عائق اعترض طريقي كباحثة هو نقص أو قلة المصادر والمراجع في مكتبتنا مما دفعني إلى استخدام الكتب الإلكترونية والتي يكون فيها العمل شاق ومتعب.

الفصل الأول: الإنسان في معادلة الحضارة لدى مالك بن نبي

تمهيد

المبحث الأول:

الدلالات المفاهيمية في مشروع مالك بن نبي

المبحث الثاني:

تصور لإنسان في مشروع مالك بن نبي

تمهيد

يرى مالك بن نبي أن مشكلة الحضارة والأزمة الحضارية للواقع الإسلامي ليست مشكلة خارجية، وإنما مشكلة إسلامية داخلية وبالتحديد أكثر كما يراها مشكلة الإنسان المسلم وعقل هذا الإنسان،وأن الخلل كما يرى ليس فيما أسماه في الدين أو العقيدة، وإنما بما اسماه بالفاعلية أي (غياب الفاعلية) وأنى الإنسان المسلم أنهى ومنذ زمن بعيد دورته الحضارية وأمسى إنسانا عاطلا متخلفا يعيش في مجتمع متحلل غارق في الأوهام ،وهو بحالته هذه أقبلت عليه أروبا بقوتها العسكرية وأفكارها الحدثية فإستعمرته ولكنها من دون أن تقصد نسفت وضعه الخامل المتوارث فاستيقظ بعد سلسلة من الانتكاسات المتوارثة .

فطرح سؤال النهضة ؟

وظهرت فيه محاولة النهوض والتقدم الإصلاحية والتجديد ،لكن هذه المشاريع إنطوت على عيوب كثيرة فلم تتمكن من تخليص العالم الاسلامي من التخلف والفوضى الداخلية التي كان يعيشها، والتي زادها بأسا العامل الخارجي "الاستعمار"

---

*مالك بن نبي "هو مالك بن الحاج بن عمر بن خضر بن مصطفى بن نبي،ولد في مدينةقسنطينةــ إحدى المدن الجزائرية ــ في السادس من ذي القعدة من سنة 1323ه الموافق للثامن والعشرين من كانون الثاني /يناير من سنة 1905 م، وهو يرى أن ولادته في تلك الفترة من الزمن مكنته من الشهادة على القرن حيث أتيحت له الفرصة للإتصال بالماضي والمستقبل فيقول في ذلك أن من ولد بالجزائر سنة 1905 م يكون قد أتى في فترة يتصل فيها وعيه بالماضي الممثل في أواخر شهوده، وبالمستقبل الممثل في أوائل صائغيه ،ومن هناندرك السبب الذي جعل مالكا يطلق على مذكرته إسم:مذكرة شاهد القرن،حيث يرى أن التكوين الفكري للإنسان يمر بمراحل ولا شك يرتقي من خلالها حتى يصل إلى مرحلة النضج والعطاء فهو بمثابة البناء ينطلق من القواعد والأسس الى الأعلى ولاسيما اذا توافرت لدى الشخص الاستعدادات الفطرية التي تتيح له السير في طرق بناء الفكر وتطوره التطور السليم. وقد كان مالك يحمل في نفسه استعدادات فطرية أهلته لاكتساب الصفات العلمية التي طبعت انتاجه الفكري فكان بذلك مدرسة من مدارس الفكر الاسلامي المعاصر، وقد استمد مالك مصادر تكوينه الفكري من ثلاث مصادر **(العويسي ، 132،2012)**.

ألاهي:

- المصدر الأول: التكوين الفكري في البيئة الجزائرية (ثلاث بيئات محافظة من القطر الجزائري).
- المصدر الثاني: التكوين الفكري في البيئة الفرنسية (الدراسة والتحليل العلمي والتنوع الثقافي).
- المصدر الثالث: التكوين الفكري في العالم الاسلامي(قراءة الصحف والمجلات والكتب) (أنظر:إبتسام غانم ، الفكر التربوي عند مالك بن نبي بين ثنائية الحضارة والتربية، المدرسة العليا لأساتذة التعليم التكنولوجي بسكيكدة، الجزائر، ص59، basma-21@live.fr).

المبحث الأول: الدلالات المفاهيمية في مشروع ملك بن نبي

1-في مفهوم الإنسان والفاعلية:

أ- الانسان:

اعتبر مالك بن نبي الإنسان الحجر الأساس في عملية البناء الحضاري فالمجتمعات الحيوانية لا تنتج حضارة فهي تتصرف وفقا لما تمليه عليها غرائزها وتقتضيه حاجاتها البيولوجية.

أما الإنسان فلقد كرمه الله عز وجل على سائر الكائنات الحية ، وكلفه بالأمانة العظمى يتجلى ذلك في قوله **{إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا}**.[1] الأحزاب، الآية 72.

فجعله الله خليفة في الأرض.

نستخلص من ذلك أن مكانة الإنسان في القرآن الكريم هي أشرف مكان له في ميزان العقيدة وفي ميزان الفكر، إن الإنسان هو الأساس في فكر مالك بن نبي، ومحور اهتمامه في كل أعماله الفكرية ومصدر نجاح أي مشروع بشري في التاريخ أو فشله على مستوى الفرد أو المجتمع ولهذا فهو يؤكد أن الإنسان هو الوحدة الأولى التي تكون المجتمع ، فإذا تحرك المجتمع تحرك معه التاريخ وإذا توقف معه أيضا.[2]

يقول مالك بن نبي :"إن أي تفكير في مشكلة الإنسان في جوهره تفكير في مشكلة الثقافة".[3]

---

[1] الأحزاب ، الآية 72.

[2] مالك بن نبي، وجهة العالم الاسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر ، دمشق، ط1، 1986 ، ص.57

[3] مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصابور شاهين، دارالفكر، دمشق، ط 4،2000،ص10.

"فالحضارة في العالم الإسلامي تتعلق أساسا بالإنسان أكثر عن عنصري الوقت والتراب ذلك أن التراب والوقت يرتبطان من حيث الوعي والحضور الفعال بالإنسان، وبالتالي يصبح المشكل الحقيقي في الحضارة هو الإنسان بالدرجة الأولى".[1]

"إن تاريخ الإنسان حيث أنه صانع الأحداث التاريخية، من ناحية أخرى أن الإنسان هو الذي يكتب التاريخ ويؤرخه".[2]

"فالإنسان المسلم عملي بطبعه، فعّال بعقيدته مقدام بتركيبته، ينبري لتحقيق ما رسم من أهداف مشروعه مع الإدراك التام لإنسانيته كإنسان يمثل محور الوجود في رحاب دين ذي رسالة عالمية لا تعرف الحدود فهو لا متناه، مشرئب دائما إلى تخليص الإنسانية من براثن فلسفات أثبت التاريخ ضحالتها ومحدوديتها".[3]" إذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ، وإذا سكن المجتمع والتاريخ"[4] ويقول" إن كل تفكير في مشكلة الإنسان هو تفكير في مشكلة الحضارة".[5]

فالإنسان في" نظر مالك بن نبي هو الكائن الحضاري الذي ينتج الحضارة بالتغير والحركة، وذلك لا يأتي إلا إذا غيّر نفسه، أما بقية الأسس الأخرى فلا تستطيع تغير نفسها تغيرا إراديا، وأن يكون جزئيا قبل أن يكون كليا ، وأن يكون فرديا قبل أن يكون جماعيا، فلا نستطيع تغير الآخرين قبل ان نغير أنفسنا."غير نفسك تغير التاريخ".[6]

فإبن نبي كان دائما يستشهد بقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍحَتَّىيُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[7]

---

[1] عبد القادر بوعرفة، الحضارة ومكر التاريخ، تأملات في فكر مالك بن نبي، رياض العلوم، الجزائر، ط1، 2006، ص11.

[2] سليمان الخطيب، فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي دراسة إسلامية في ضوء الواقع المعاصر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ط1،1923،ص53.

[3] بشير ضيف الله، فلسفة الخضارة في فكر مالك بن نبي ، بن مرابط ، الجزائر، د.ط، 2014ص55.

[4] مالك بن نبي، تأملات،دارالفكر ، دمشق، ط1،2002،ص 129.

[5] مصدر سابق، مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ، ص100.

[6] مالك بن نبي، شروط ، النهضة، ترجمة عبد الصابور شاهين، دار الفكر ، دمشق،د.ط،1986،ص32.

[7] سورة الرعد، الآية: 11.

فالإنسان إذن هو محور الفاعلية في حركة النهضة ، وذلك بتحقيق الخلافة على هذه الأرض مصداقا لقوله تعالى: { وَإِذْ **قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**}.[1]

وقوله تعالى:{**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ**}.[2]

بيد أن مفهوم الإنسان عند مالك بن نبي يتخذ صورة واقعية مقبولة وقريبة من أذهان الأغلبية " كما أنه مفهوم لم يغرق في المثالية المتعالية، بل كان قريبا من واقع المسلم، ملتحما بالمبدأ القرآني، وتلك تنم عن مكر المثقف لا الفيلسوف ... بن نبي ركب النموذج الجديد من شتات سابق، فالقرآن حضر في روح الإنسان وخاصة الشاهدية، وأخذ عن نيتشه فكرة الإنسان الناجح ... ومن خلال هذه المفاهيم استطاع بن نبي أن يبدع نموذجا تتكامل فيه كل أبعاد التحضر والمكر ...ويكون بذلك قد أسس بالفعل علم فقه الحضارة".[3]

ب- الفعالية:

التحديد اللّغوي:الفعالية لغة هو كون الشيء فعالاً والشيء الفعال هو الشيء الناجع، النافذ والمؤثر.[4] أما عند مالك بن نبي:"الفعالية أو التوتر حالة نفسية اجتماعية دل التاريخ على أنها تنشأ في ظروف معينة وتزول في ظروف أخرى،وأن المبررات هي التي تكون الدوافع الإنسانية التي تدفع النشاط إلى أعلى قيمته ... وأن الفعالية تدخل في بناء الشخصية عن طريق التمثل النفساني لعناصر الثقافة التي يمتصها الفرد في الجو الاجتماعي الذي يعيش فيه".[5]

---

[1] سورة البقرة، الآية : 30

[2] سورة هود، الآية: 61.

[3] مرجع سابق، عبد القادر بوعرفة، الحضارة ومكر التاريخ، ص 30-32.

[4] مصدر سابق، مالك بن نبي، تأملات، ص86

[5] مصدر سابق، مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 56.

ويعرفها بأنها حركة الإنسان في حركة التاريخ، "فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ، وإذا سكن، سكن المجتمع والتاريخ"[1].

فالإنسان لا يتغير بوصفه كائنا حيا في حدود التاريخ ،وإنما يتغير بوصفه كائنا اجتماعيا تغيره الظروف، لذلك نجد مالك بن نبي يركز على قضية الفعالية، وهي تفعيل الفكرة وإخراجها من حيز الإمكان إلى حيز الفعل الحقيقي والعملي والواقعي وينبغي للقرن العشرين أن ينظر إلى المشاكل الاجتماعية من زاوية (الفعالية) وهذا لا يعني أن نهمش الإنسان في الجوانب الأخرى على جعل الإنسان مجرد آلة إنتاج، وإنما يرى بأن، تنجح إلى التضييق من معنى إنسانية الإنسان إلى حدما.

" إذا تأملنا فعالية العقيدة الإسلامية التي تربط بين النظر والواقع، بين الفكر والعمل، نجد أنه ما من آية في كتاب الله تعالى،تدعو إلى الإيمان،إلا ونجدها مقرونة بالدعوة إلى العمل،ذلك أن الإيمان لابد أن يصبح منهج حياة، والا ينفصل عن واقع المسلم الاجتماعي والحضاري، وبهذا نتبين فعالية العقيدة الإسلامية،وتتعدد الآيات الدالة على هذه السمة العقيدية"[2] يقول تعالى:{وَعَدَ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ}سورة المائدة:9

ومن خلال هذا يؤكد مالك بن نبي أن الدين"هو أهم منطلق في البناء الحضاري، وتكمن قوة الفكرة الدينية في إشعاعها الاجتماعي، بمعنى قدرتها على التأثير في حياة المجتمع"[3]خاصة أننا نجد القرآن الكريم يعلي من شأن الإنسان حينما يقول "ولقد كرمنا بني آدم" فالإنسان فوق كل هذا في تحديد مهمته في المجتمع، لأنه أولا وقبل كل شيء الكائن المكرم من الله.

[1] مالك بن نبي ، تأملات ، دار الفكر ، دمشق ، ط1، 1989 م، ص129.

[2] مرجع سابق، سليمان الخطيب، فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي، ص172

[3] بودقزام عمران، التجديد في المشروع الحضاري عند مالك بن نبي ، دار الهدى ، الجزائر، د.ط، 2015، ص161.

ولكي يرتقي الإنتاج الاجتماعي يجب عليه أن يخضع لقانون وهذا القانون هو:" أن الفعالية تنمو تدريجيا مع تعقد المصلحة، أي أن الإنتاج الاجتماعي فيها يرتقي بقدر مايكون النشاط الفردي موجها لسد حاجات غير فردية، أو بعبارة أخرى،بقدر ما يكون موجها لمصلحة عامة، فإذا كانت المصلحة هي التي تفسر لنا الفعالية".[1]

من خلال هذا يقسم المجتمع إلى مستويين أو أسرتين، مجتمع رأسمالي ومجتمع اشتراكي فكل منهما يفسر الضمانات الاجتماعية بطريقة معينة" فأحدهما يفسر تقديم الضمانات بمصدرها فيعد (التنافس والصراع الفردي)، هو المحرك للطاقات الاجتماعية،كما يرى عالم الاجتماع (آدم سميث) والآخر يفسر تقديم الضمانات الاجتماعية بهدفها أي بالصالح العام، وهنا نجد تناقضا واضحا بين النظريتين، يلزمنا بأن نخرج بنظرية جديدة تفسر بوضوح أكثر الفعالية الاجتماعية وتناسب أكثر واقع مجتمعنا".[2]

"ففاعلية (الأفكار) تخضع إذن لشبكة العلاقات الاجتماعية،أي إننا لا يمكن أن نتصور عملا متجانسا من الأشخاص والأفكار والأشياء دون هذه العلاقات الضرورية وكلما كانت شبكة العلاقات أوثق ، كان العمل فعالا مؤثرا".[3]

إذن الفعالية هي تلك الإرادة التي تكون نتيجة لحالة نفسية تخلقها دوافع وظروف نفسية واجتماعية تجعل من الإنسان مستعدا لتغيير وضعه وواقعه مهما كان.

2-في مفهوم الحضارة:

أ- ضبط مفهوم الحضارة لغة واصطلاحا:

1) الحضارة لغة:"ضد البداوة ، وتقابل الهمجية والوحشية ، وهي مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني"[4]

[1] مصدر سابق، مالك بن نبي، تأملات ، ص37.

[2] نفس المصدر، ص37.

[3] مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصابور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط3 ،1986، ص38.

[4] إبراهيم مذكور ، المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، د.ط،1983، ص73 .

وقد وردت الدلالة ذاتها في القرآن الكريم،فمن خلال معجم الفاظ القرآن الكريم نجد أن من دلالات "حضر":

{ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ}:شهدها[1]

2) الحضارة اصطلاحا:ذكر العلماء تعريفات متعددة نذكر منها على ما يتوافق ويقتصر على السياق المنهجي والموضوعي للبحث:

"ومن أبرز هذه التعاريف جاء في مقدمة ابن خلدون ،حيث حصر مؤشر التحضرفي التفنن في المكاسب المادية،وعلى هذا ذهب إلى إن الحضارة هي "تفنن في الترف وأحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه".[2]

ويعرفها أندري لالاند في موسوعته قائلا:"إن الحضارة ماهي مجموعة ظواهر اجتماعية مركبة،ذات طبيعة قابلة للتنقل،تتسم بسمة دينية أخلاقية جمالية فنية،تقنية أو علمية،ومشتركة بين كل الأجزاء في مجتمع عريض أو عدة مجتمعات مترابطة،فالحضارة الصينية،الحضارة المتوسطية".[3]

ب- الحضارة عند مالك بن نبي

أخذ مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي "بعدة تعريفات ذلك حسب الجوانب والزوايا التي يتناولها، فعرفها باعتبارجوهرها،وباعتبار المبادئ التي تقوم على أساسها، وباعتبار تركيبها، وباعتبار وظيفتها، وباعتبار كيانها، والصلة بين روحها ومنتجاتها".[4]

---

[1] سورة النساء الآية8.

[2] مرجع سابق، بودقزام عمران، التجديد في المشروع الحضاري عند مالك بن نبي، ص96.

[3] أندريه لالاند: موسوعة الفلسفية، مج1، تر خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات، بيروت ، باريس ، ط2 ، 2001، ص172.

[4] نورة خالد السعد، التغير الاجتماعي عند مالك بن نجي، دراسة بناء النظرية الاجتماعية، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط1، 1997 ، ص107.

حيث أخذ هذا المفهوم أبعاد وزوايا بحثية،وكثرت التعريفات المفسرة لها عنده،فهو يعرفها بتعاريف متغايرة في كتبه المختلفة بحسب الموضوع الذي يبحث فيه وتموقعاته المعرفية، وسياقاته الاجتماعية:

أ-تعريفها من الناحية الجوهرية:

الحضارة في جوهرها هي "عبارة عن مجموعة من القيم الثقافية المحققة، فتعد بهذا الاعتبار جوهر الحضارة، لأن كل واقع اجتماعي هو في أصله قيمة ثقافية خرجت إلى خير التنفيذ وبهذا التجديد يتطابق مفهوم الحضارة مع مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي.[1]

يلخص الحضارة في "أن كل تفكير في مشكلة الإنسان هو تفكير في مشكلة الحضارة".[2]

كما ذهب مالك بن نبي إلى أبعد من ذلك من أجل التوغل في تحليل جوهر الحضارة وارتباطها مع الثقافة إذ يقول" إن أي تفكير في مشكلة الإنسان في جوهره تفكير في مشكلة الثقافة".[3]

فيقول الحضارة هي "مجموعة القيم الثقافية المحققة".[4]

وبذلك تكون الحضارة في جوهرها عبارة عن مجموعة من القيم الثقافية المحققة التي تأخذفي النهاية مهمتها التاريخية، تقوم بوظيفة الدم للكائن الحي وتنقل أفكار الجمهور الشعبية وأفكار القادة الفنية وهذان العنصران هما اللذان يغذيان عبقرية الحضارة.

ب:تعريفها من ناحية المبدأ: عرفها من هذا الجانب بقوله "إن الحضارة هي نتاج فكري جوهري تطبع على مجتمع في مرحلة ماقبل التحضر الدفعة التي تدخل به التاريخ.ويبني هذا

[1] مرجع سابق، بودقزام عمران، التجديد في المشروع الحضاري، ص154.

[2] مصدر سابق ،مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص100.

[3] مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، دار الفكر، دمشق، ط2، 1984 ، ص10.

[4] Malek Bennabi, le problème des idéées dans le monde musluman, P 1990, P25-29.

المجتمع نظامه الفكري طبقا للنموذج الأصلي لحضارته، إنه يتحذر من محيط ثقافي أصلي يحدد سائر خصائصه التي تميزه عن الثقافات والحضارات الأخرى".[1]

ويعني من خلال هذا التجديد ،التجسيد الواقعي للأنموذج المثالي أي يجب أن يطبق على أرض الواقع.

ويضيف قائلا "أن أول مايجب أن نعرفه عن شعب حديث اليقظة،لاتزال أثار النوم الطويل بادية عليه هو، فيتساءل هل بيده اسباب تقدمه وثم بذلك يجيب اننا نجد في القرآن الكريم .{**إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**}(BIO-HISTOIRE)النص المبدئي للتاريخ التكويني.وينبغي أن لا نقرر هذا المبدأ حسب إيماننا فقط ،بل يجب أن يكون تقريره في ضوء التاريخ".[2]

وهو يعتبر هذه الآية هي نقطة ارتكاز أساسية في مشروعه الفكري،والتي سيستلهم منها،إعادة بعث دورة حضارية وخاصة الحضارة العربية الإسلامية ويرى أن نهضة أي مجتمع تتم في نفس الظروف التي شهدت ولادته ويقصد هنا أننا اذا أردنا أعادة المجتمع الإسلامي والأمم من ورائه علينا أن ننطلق من الفكرة الدينية ،وليس من التجربة التاريخية.

ج- تعريفها من ناحية التركيب:

هي "بناء مركب اجتماعي يشمل ثلاثة عناصر فقط ،مهما كانت درجة تعقيدها كحضارة القرن العشرين، وتتمثل هذه العناصر في الإنسان والتراب والزمن،ولكن لابد من أن يركبها العامل الأخلاقي ،وبدون هذا العامل يوشك أن تتمخض العملية عن العملية عن كومة لا شكل لها متقلبة عاجزة عن أن تأخذ اتجاها ،أو تحفظ به أو أن تكون وجهة بدلا من أن تكون كلا موحدا في مبناه وفيها يهدف إليه".[3]

---

[1] مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي، ترجمة أحمد شعبو ، دار الفكر ، دمشق ، ط1، 2002، ص49.

[2] مصدر سابق، مالك بن نبي، شروط النهضة، ص49.

[3] مرجع سابق ، بودقزام عمران، التجديد في المشروع الحضاري عن مالك بن نبي ، ص155.

وتحقيق التفاعل الحيوي بين هذين العناصر – برأيه – هو الكفيل بتحريك عملية الاستئناف.

د- تعريفها من ناحية الوظيفة:

يعرفها من حيث الوظيفة بأنها "هي العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر لكل فرد من أعضائه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتقدمه".[1]

فالفرد يحقق ذاته بفضل إرادة وقدرة ليستا نابعتين منه وإنما ينبعان من المجتمع الذي هو جزء منه ،ومهما كانت قدرة الفرد وإرادته إذا ركن إليها وحدها فسيصبح فرد منعزل عن كل اتصال بجماعته ويصبح مجرد قشة ضعيفة في مواجهة إعصار.

وتتسع أيضا لتشمل "مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده،في كل طور من أطواروجوده ،منذ الطفولة الى الشيخوخة المساعدة له، في هذا الطور أو ذاك من أطوار النمو".[2]

و- تعريفها من الناحية البيولوجية:

يقول مالك بن نبي الحضارة هي "مجموعة من العلائق بين المجال الحيوي (البيولوجي) حيث ينشأ ويتقوى هيكلها،وبين المجال الفكري،تولد وتنمو روحيا فعندما تشتري منتجاتها فإنها تمنحها هيكلها وجسدها وروحها".[3]

ويضيف قائلا "إن المقياس العام في عملية الحضارة هو أن الحضارة هي التي تلد منتجاتها .... ليس من الواجب لكي ننشئ حضارة أن نشتري كل المنتجات الأخرى ،فإن هذا يعكس القضية التي سبق قررناها وهو يقود في النهاية إلى عملية محالة كما وكيفا".[4]

فالحضارة بالنسبة لمالك بن نبي لا تشترى ولا تستنسخ، ويضرب بذلك مثال دقيق عن الفرق بين العربي أو المسلم حين يذهب إلى الغرب،وبين الياباني حين يذهب إلى الغرب إذ

---

[1] مصدر سابق، مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي، ص49.

[2] مالك بن نبي، القضايا الكبرى ، دار الفكر، بيروت، ط1، 1991 ، ص43.

[3] مصدر سابق، مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ، ص48.

[4] مصدر سابق، مالك بن نبي ، شروط النهضة، ص 42 – 43.

يقول "إن الياباني قد بنى مجتمعا متحضرافهو قد دخل الأشياء من أبوابها،وطلب الأشياء بوصفها حاجة درس الحضارة الغربية بالنسبة لحاجاته وليس بالنسبة لشهواته"[1]، وهذا يعني أن الياباني حينما ذهب إلى الغرب تحرك ونشط وفعل، استعمل عقلية التلميذ،أراد أن يتعلم وينجز ويفكر كما يفكر الغربي، ويصنع كما يصنع، ويبدع كما أبدع وينجز ويبني، فنجح ونجحت بلاده، أما فيما يخص العربي فقد فشل،لأنه أتى بعقلية الزبون،يشتري وفقد فمن خلال هذا نجده يقول "فإن اليابان قد سارت في طريق للعمل نسميه البناء ،قد قامت خلال نصف قرن من سنة 1968 إلى سنة 1905 ببناء مجتمع،ونحن كدّسنا عناصر مجتمع ...فالمجتمع الإسلامي عندنا لم يشعر بعد بمسؤولية، وهناك أمثلة كثيرة تؤكد هذه الحقيقة"[2]وحجته بهذا أن العربي عندما يأتي إلى الغرب يشتري وفقط ظانا منه أن الحضارة تشترى، فالحضارة لا تشترى ولا تستنسخ.

"إن علينا أن نكون حضارة أي أن نبني لا نكدس،فالبناء وحده هو الذي يأتي بالحضارة لا التكديس ولنا أمم معاصرة أسوة حسنة إن علينا أن ندرك بأن التكديس منتجات الحضارة الغربية لا يأتي بالحضارة والاستحالة هنا اقتصاديةواجتماعية ...الحضارة هي التي تكون منتجاتها وليست المنتجات التي تكون حضارة".[3]

ويعني من خلال هذا أن الحضارة هي وليدة منتجاتها .

"فالحضارة بحسب المعطيات المذكورة سابقا ليست مجرد أفكار ومعارف تظهر لدى فرد أو مجموعة من الأفراد داخل المجتمع،ولاهي مجرد منتجات صناعية تباع وتشترى،بل هي فاعلية بشرية تتم بتوفير جملة من العوامل والشروط،التقنية والاجتماعية والروحية والمادية، وبتوفير الإرادة والقدرة على إبداع المعرفة وإنتاج الأشياء،واستغلال ذلك لخدمة

[1] مصدر سابق، مالك بن نبي، تأملات ، ص166.

[2] نفس المصـــدر، ص166–168.

[3] نفس المصـــدر، ص169.

الإنسان وضمان راحته، ولتميز الحضارة الحقيقية من الحضارة المزيفة المشبوهة، فالأولى تصنع منتجاتها الفكرية والثقافية والمادية وتستثني كليا في هذا الحساب ظاهرة التعاون والتفاعل والتواصل بين الحضارات الإنسانية".[1]

3-في مفهوم الثقافة:

ينطلق مالك بن نبي من تحليل لغوي ونفسي واجتماعي لكلمة الثقافة يقول "ليس في مقدورنا اليوم أن نعالج موضوعا كهذا دون أن نجد أنفسنا ــ في حالة التطور الراهنة في العالم العربي،أمام مشكلة لغوية وتاريخية، فمن أين جاءت كلمت (ثقافة) ومنذ متى استخدمت في اللّغة العربية ؟ يرى من خلال اصل الكلمة للثقافة في اللّغة العربية سواء في ذلك في القواميس القديمة أو الحديثة:"فلسان العرب يقول في المجلد العاشر "يقال ثقف الشيء وهو سرعة التعلم ...والقواميس الحديثة يقول "ثقف ثقافة:صار حاذقا خفيفا ،وثقف الكلام فهمه بسرعة".[2]

ومن خلال أصل الكلمة في الثقافة لا يجد لها استخدام قبل ابن خلدون يقول "فإذا ما رجعنا قليلا في مجال هذا البحث لم نجد أثر لتلك الكلمة في لغة ابن خلدون الذي يعد على أي حال المرجع الأول لعلم الاجتماع العربي في العصر الوسيط،ولوردنا في رجوعنا إلى ماقبل ذلك لم نجد الكلمة مستعملة في العصر الوسيط الأموي والعباسي".[3]

الثقافة بهذا الاعتبار هي "مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية ،التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه،فهي على هذا التعريف المحيط يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته".[4]

---

[1] جيلالي بوبكر ، البناء الحضاري عند " مالك بن نبي"، دار المعرفة ، الجزائر ، د.ط، 2010 ، ص39.

[2] مصدر سابق، مالك بن نبي، مشكلة الثقافة ، ص19.

[3] نفس المصدر، ص20.

[4] مرجع سابق، بودقزام عمران، التجديد في المشروع الحضاري عند مالك بن نبي ، ص157.

إن كلمة ثقافة كما يرى بن نبي"أروبية النشأة، ووجدت في لغتنا بطريقة التوليد من أصل الفعل نقــف"[1].وهو أصل لغوي يتصل تاريخه بلغة ماقبل الإسلام حتى لنراه قد ورد في بعض آيات من القرآن الكريم مثل قوله تعالى .{وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ}.[2]

"فكلمة الثقافة لم تكتسب بعد في العربية قوة التحديد الذي ينبغي أن تتوفر لكل علم على مفهوم،لذا فهي تقرن عند الكتابة بالكلمة الأجنبية التي ترجمت إلى العربية بكلمة ثقافة (culture)مفهوم الثقافة من ثمرات عصر النهضة في أروبا ،وذلك يوجد تفسيرها في ضوء اللّغات الأروبية، لتحديد سبب تلك التسمية، فالكلمة في أصلها اللاتيني يراد بها أصلاً: إصلاح الشيء وتهذيبه وإعداده للاستعمال ومن هنا قالو:

أي إصلاح الأرض وزراعتها"(culture agri) [3]

يرى بن نبي بأن مفهوم الثقافة "في القرن التاسع عشر أحدث تقدما في مفهوم كلمة ثقافة ،فعلم الوقائع الاجتماعية بدأبــ(أوجست كونت) الذي يعدونه أبا لعلم الاجتماع ...قد شهد حقلا من حقول الدراسة أكثر اتساعا ووسائل للبحث والتحقيق أخصب وأكثر تنوعا ...فلقد كان عمل القرن التاسع عشر في أروبا متجها إلى تحليل الوقائع داخل العمل، أكثر من اتجاهه إلى دراستها في حجرة الدراسة أو في بطون الكتب أو في أثار التاريخ، وبذلك كان من الطبيعي أن تدخل فكرة (الثقافة) إلى معرفة بناءها وأجزائها وعناصر تركيبها الأولية، باستخدام طرق التشريح والتحليل ...لكن هذا الفكر الجديد يلاحظ أن فكرة الثقافة تمتد لتشمل ما وراء ما أطلق عليه (الإنسانية الإغريقية اللاتينية) ...فهذا هو العصر الذي اكتشفت فيه أوروبا عامة، والمانيا خاصة ،ثقافة آسيا على يد (شوبنهورونيتش)...اتسع هذا

[1] حورية بكوش ، تبسيط مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي، مخبر المحفوظات الجزائرية في إفريقيا، مجلة رفروف ،جامعة أدرار ، العدد العاشر ، الجزائر ، ديسمبر ، 2016.

[2] [البقـــرة: 192].

[3] عبد الله بن محمد العويسي، مالك بن نبي حياته فكره، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ، ط1، 2012 ، ص311.

المفهوم حتى ضم مجالا جغرافيا أوسع ومعنى اجتماعيا أشمل إلى أن طفر بدراسات (لفي بريل) عن ثقافات المجتمعات البدائية".[1]

يرى مالك بن نبي بأن هناك مدرستين في تعريف الثقافة،المدرسة الغربية والمدرسة الكلاسيكية.

- فالأولى المدرسة الغربية:"التي ظلت وفية لتقاليد عصر النهضة وهي ترى عموما أن الثقافة ثمرة الفكر،أي ثمرة الإنسان"[2] تضم العقائد والتقاليد واللغة والأفكار.

فالغرب يرون أن الثقافة لها علاقة بالإنسان فهم يعرفونها ب:"فلسفة الإنسان".[3]

والثانية المدرسة الماركسية:"التي ترى أن الثقافة في جوهرها ثمرة المجتمع"[4]،أي أن الثقافة هي انعكاس للواقع المادي ،كما أنها انعكاس لمجتمع معين ويخلص مالك بن نبي من خلال التعريفات السابقة بأن الثقافة وليدة سياقات مختلفة ومن ثمة لا يمكن تطبيقها كما هي في المجتمعات العربة لأنه يحمل سياقات مختلفة عنها،ومن خلال الاسترشاد بخبرات الثقافات الأخرى عليه أن يهيئ نفسه لما يلزم للتطبيق وابتعاد حلول لمشكلته إذن الثقافة "هي تلك الكتلة نفسها،بما تتضمنه من عادات متجانسة وعبقريات متقاربة، وتقاليد متكاملة وأذواق متناسبة، وعواطف متشابهة، وبعبارة جامعة: هي كل مايعطي الحضارة سمتها الخاصة، ويحدد قطبيها: من عقلية إبن خلدون، وروحانية الغزالي، أو عقلية ديكارت وروحانية جان دارك، هذا هو معنى الثقافة في التاريخ".[5]

[1] مصدر سابق، مالك بن نبي، مشكلة الثقافة ، ص27-29.

[2] نفس المصدر ، ص 29.

[3] نفس المصدر ،73.

[4] مصدر سابق ، مشكلة الثقافة ، ص73.

[5] نفس المصدر ، ص77 .

4-في مفهوم الدين و المجتمع:

أ- الديـــــــــن:

"الدين أو الفكرة الدينية عند بن نبي هي أساس كل مشروع تغييري،وقد اهتم به،في الغالب،من حيث وظيفته الاجتماعية في صياغة الشخصية الحضارية،وبناء العلاقات الاجتماعية ،فالفكرة الدينية تتدخل إمّا مباشرة ،أو بطريقة غير مباشرة في تركيب عناصر الحضارة وفي شكل إرادته".[1]

يرى مالك بن نبي أن الظواهر الدينية قائمة "بين الدين والعلم على غرار ما يوحي به بعضهم،إذ أن العلم لم يبرهن على عدم وجود الله أو وجوده ،كما نسلم بذلك مبدئيا بل النزاع هنا بين دينه،بين الألوهية والمادية ،بين الدين الذي يسلم بوجود الله أو ذلك الذي (افترض)المادة، وكلمة "دين" التي تستعمل في الأديان لها معنيان لا غير ...أحدهما:هذه الحالة الذاتيةEtate subjectif، التي نسميهاReligiosité، وهذا المعنى يعني الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة ،والمعنى الآخر هو تلك الحقيقة الخارجية،fait objectifالتي يمكن الرجوع إليها في العادات الخارجية أو الأثارالخالدة ،أوالروايات المأثورة،ومعناها،جملة المبادئ التي تدين بها أمة من الأمم اعتقادا وعملا. Doctrine religieuseوهذا المعنى أكثر انتشارا،وهو جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية ،وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها".[2]

"لذلك فالفكرة الدينية هي مرحلة لتجاوز العتبة وتحريك المفاعل،ووضعه في مساره الصحيح بحيث يصبح الفرد- لمشروع على الاستعداد للبناء بعد أن أوجد ديناميكية التفاعل الاجتماعي بينه وبين الطرف الآخر،وهذا وكثيرا ماستشهد مفكرنا بالحضارة الإسلامية التي كان نواتها

---

[1] مرجع سابق ، بودقزام عمران ، التجديد في المشروع الحضاري عن مالك بن نبي ، ص 152.

[2] سليمان الخطيب، فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي دراسة إسلامية في ضوء الواقع المعاصر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، ط1، 1923 ، ص124.

ظهور الدعوة المحمدية التي فكت القيود الفكرة، والعقبات التي تجهض المبادرة، والإقتدار، بل وتكبل حتى الرغبة في التجاوز وتغير الأنا ــ فما بالنا إذا كان المشروع مشروع حضارة؟

إذن فالدين عامل مهم وفاعل في بعث أي أسلوب أو نمط بناء هدفه الانتشار،والاكتساح، والفاعلية المجاوزة لراهن الأشياء باعتبار مكونا له وظيفة تحرير الفرد الذي لايزال بحاجة إلى إشباع ذاته ،والفرد الذي لا يزال يحاول التخلص من هذه التبعية،لأن الإقلاع لا يكون الا سدّ هذين المنفذين اللذين يميزان التركيبة البيولوجية للإنسان الذي يبقى دائما بحاجة إلى التبشير بضرورة وإقلاعه".[1]

ومن خلال هذا يضرب لنا مثال في الموازنة "بين الطبيب الإنجليزي أو الفرنسي وبين زميله المسلم ــ فيما يتعلق في جانب الفعالية الاجتماعية- أن الفرق بينهما لا يمكن أن يعزى إلى منهج الدراسة أو إلى المؤسسة التعليمية،إذ هي واحدة بالنسبة لكليهما، فبقى إذن أن يعزى هذا الفرق في السلوك إلى أسباب أعم ،تتضح أمارتها عندما نعقد موازنة أخرى،هي هذه المرة بين الطبيب الإنجليزي والراعي الإنجليزي وستكون هذه الموازنة مفيدة لنا فائدة كاملة ،لأنها تتيح لنا أن ندرك فكرة (الثقافة) في أعم مظاهرها، فطبيب وراع لا يمكن أن يلتقيا في المكونات الخاصة التي تمليها المهنة ،ومع ذلك فإن هنالك تشابة عجيبا في سلوكها الخاص،هذا التشابه من أخص الأمور وأهمها في تحديد ثقافة مجتمع معين،هو يحدد في الواقع أسلوب حياة ذلك المجتمع ،كما يحدد سلوك أفراده ومدى مابينهم من تبادل في هذين الجانبين".[2]

وهذه القدرة على التركيب لها ارتباط الدين وطبيعته، بما يحتويه في جانبيه الغيبي والاجتماعي:

---

[1] مرجع سابق،بشير ضيف الله، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، ص49-50.

[2] مصدر سابق، مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ، ص51.

1- الجانب الغيبي:"من الضروري هنا أن نفرض مبدأ متميز عن المادة،فالله خالق ومدبر للكون، وسبب أول ينبثق عنه كل موجود ،وهذا هو مبدأ المذهب الجديد ...وهذه الحتمية الغيبية (الميتافيزيقية) تسعنا حين تعجز القوانين الطبيعية عن إعطاء تفسير واضح للظواهر وبذلك ينتج عنها مذهب كامل ومتسق متجانس لا نقص فيه ولا تعارض، مما لزم المذهب المادي"[1] فهو له علاقة بين العبد والمعبود أي بين الخالق والمخلوق،وهو الاصل في الحركة الاجتماعية.

2- الجانب الاجتماعي: الذي هو ثمرة العلاقة مع المعبود في المجال الاجتماعي ،وهكذا فالجانبان مترابطان لا ينفك أحدهما عن الآخر،فالجانب الاجتماعي ــ حسب رأيه ــ مترتب على الجانب الغيبي،متوقف على قوة الإيمان بالغيب،"فالفكرة الدينية لاتقوم بدورها الاجتماعي إلاّ بقدر ما تكون متمسّكة بقيمتها الغيبية".[2]

ورغم تأكيده لهذه الحقيقة إلاّ أنه يرى أن قيمة الفكرة الدينية تكمن في وظيفتها الاجتماعية، لا في أصالتها الذاتية ، ومن هذا المنطلق يفرق بن نبي بين صدق الفكرة الدينية وفاعليتها ...واستشهد بن نبي على صحة ما ذهب إليه بالفكرة الإسلامية التي فقدت فاعليتها في عصر ما بعد الموحدّين على الرغم من أصالتها الذاتية، وفي مقابل ذلك أثبتت الفكرة الشيوعية فاعليتها في التأثير على مجرى الحياة رغم بطلانها.[3]

وحاصل القول يرى بن نبي أن الدين هو أهم منطلق في البناء الحضاري،وتكمن قوة الفكرة الدينية في إشعاعها الاجتماعي،ومدى قدرتها على التأثير في حياة المجتمع.[4]

---

[1] مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، دار الفكر المعاصرة، بيروت ، ط4، 1987 ، ص79.

[2] مرجع سابق، بودقزام عمران، في المشروع الحضاري عند مالك بن نبي ، ص159.

[3] مصدر سابق، مالك بن نبي ، شروط النهضة ، ص60-61.

[4] نفس المرجع، بودقزام عمران، المشروع الحضاري عند مالك بن نبي ، ص161.

ب- المجتمع:

يعرف مالك بن نبي المجتمع في معناه البسيط ،أي المعنى الأدبي الذي يعطيه القاموس، هو"تجمع أفراد ذوي عادات متحدة، يعيشون في ظل قوانين واحدة ،ولهم فيها بينهم مصالح مشتركة"[1]وهو يعني بهذا أن المجتمع ليس مجرد مجموعة أشخاص مجتمعين مع بعض ،بل يجب أن يكون لهم نظام يجمعهم يقوم على ثوابت يؤمنون بها وعادات وتقاليد توصف شخصية هذا المجتمع، وتكون بينهم مجموعة من العلاقات المشتركة يسميها ،"شبكة العلاقات الاجتماعية" هي التي تربط لابين الناس وتنظم حياتهم.

وبعبارة أخرى يقول مالك بن نبي "يجب أن نحدد (المجتمع) في نطاق (الزمن). فتجمعات الأفراد الذين لا يعدل الزمن من علاقاتهم الداخلية، ولا تتغير أشكال نشاطهم خلال المدة،لاتعد من التجمعات الخاصة التي نقصدها بمصطلح (مجتمع)، والجماعات الإنسانية المقصودة منذ (ليفي بريل) بعبارة (المجتمعات البدائية) التي لا تتغير صورة حياتها،كما لاتتغير صورة حياتها، كما لا تتغير مستعمرات النمل خلال آلاف السنين،هذه الجماعات خارجة عن نطاق التحديد".[2]

من خلال هذا يتضح لدينا أن مالك بن نبي يرى بأن المجتمع لا يجب أن يكون ساكن لايتحرك يجب أن تكون له غاية يتجه لها هذا الأخير.

"فالمجتمع يحمل إذن في داخله الصفات الذاتية التي تضمن استمراره،وتحفظ شخصيته ودورة عبر التاريخ،وهذا العنصر الثابت هو المضمون الجوهري للكيان الاجتماعي،إذ هو الذي يحدد عمر المجتمع،واستقراره عبر الزمن ويتيح له أن يواجه ظروف تاريخه جميعا،وهو

[1]مصدرسابق، مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع، ص15.

[2]نفس المصدر، ص16.

الذي يتجسد في نهاية الأمر في شبكة العلاقات الاجتماعية،ولو في مرحلة ابتدائية، هو الذي يعبر عن حدث (ميلاد مجتمع) في التاريخ."[1]

كما يرى بأن المجتمع "ليس مجرد مجموعة من الأفراد،بل هو تنظيم معين ذو طابع إنساني يتم طبعا لنظام معين، وهذا النظام يقدم عناصر ثلاثة:

1-حركة يتسم بها المجموع الإنساني.

2-وإنتاج الأسباب هذه الحركة.

3-وتحديدلاتجاهها.

وعلى أية حال فإن أمام كل مجتمع غاية،فهو يندفع في تقدمه إما إلى الحضارة ،وإما إلى الانهيار ...تكسب الجماعة الإنسانية صفة (المجتمع) عندما تشرع في الحركة ،أي عندما تبدأ في تغيير نفسها من أجل الوصول إلى غايتها ،وهذا يتفق من الوجهة التاريخية من لحظة انبثاق حضارة معينة ...أما الجماعات الساكنة فإن لها حياة اجتماعية دون غاية ،فهي تعيش في مرحلة ما قبل الحضارة."[2]

"ومن هنا نستنتج أنّ هذا التحديد يخرج المجتمع البدائي الساكن، ويقتصر على المجتمع المتكيف المتحرك".[3]

- النوع الأول:"يحقــق نموذج المجتمع الساكن ذي المعالم الثابتة،كالمجتمعات المجودة في مستعمرة النمل والنحل ،والقبيلة الإفريقية في عصر ما قبل الاستعمار والقبيلة العربية في العصر الجاهلي تمثلان هذا النموذج.
- أما النوع الثاني: فإنه يحقق النموذج المتحرك،أعني المجتمع الذي يخضع لقانون التغيير، الذي يعدل معالمه من جذورها.

---

[1] نفس المصدر، ص14.

[2] نفس المصدر، ص17-18.

[3] مرجــع سابــق، ثورة خالد السعد، التطور الاجتماعي في فكر مالك بن نبي، ص109.

ومع ذلك فهذا النوع ليس وحيد الصورة، فهو يتنوع من جهة طريقة نشأته ومن جهة شكل بنائه".[1]

إذن إن دخول المجتمع أو الأمة للتاريخ لتضع الحضارة وتغير مجرى لا يكون إلا بحركة أفرادها ومعرفة أسباب تأخرها وتحديد الاتجاه الذي يجعلها تواكب وكب الحضارة،وبتعبير أدق فإننا نقول "إن صناعة التاريخ تتم تبعا لتأثير طوائف اجتماعية ثلاثة:

- تأثير عالم الأشخاص.
- تأثير عالم الأفكار.
- تأثير عالم الأشياء.[2]

[1]مصدر سابــق ، ميــلاد مجتمــع 9-10.

[2]نفس المصدر، ص27.

المبحث الثاني:تصـــور الإنسان في فكـــر مالك بن نبـــي.

1-الإنسان ومعركة الحضارة:

"لقد طرح مالك بن نبي هذه الفكرة كمشكلة حضارية،مشكلة الإنسان التي ينبغي حلّ معضلتها وإيجاد الميكانيزمات اللازمة لعلاجها، حتى يصبح هذا الإنسان فعالا، ومجاوزا بعد أن كرمه الله،وخصه عن سائر مخلوقاته فهو المحور،والبعد والمشروع الذي أوجد له الدين الإسلامي مكانا رفيعا من خلال العناية به، وتوجيهه الوجهة الصحيحة بعيدا عن السطحية والابتذال".[1]

يقصد بهذا أن إنسان مابعد الحضارة اصيب بحالة التحلل الحضاري، بحيث أن هذا الإنسان يختلف جذريا عن إنسان ما قبل الحضارة، أو مايسميه بالإنسان الفطري،فإنسان ما بعد الحضارة هو إنسان مسلوب الحضارة لم يعد قابل لإنجاز محضر،أما إنسان ماقبل الحضارة (الإنسان الفطري) هو إنسان في حالة استعداد دائم للدخول في دورة الحضارة، نظرا لقابلية تفاعله مع الفكرة الدينية، وفي هذا الصدد نجد مالك بن نبي يقول "إن الإنسان ليس في نظر المسلم الكم الذي تجري عليه الإحصائيات والوزن،أي الشيء الذي تجري عليه تجارب المختبر، وعمليات المصنع، وحاجات الجيش ،فالإنسان ليس الكم بل الصفة التي قرنها الله بالتكريم في سلالة آدم فالمسلم يكرم هذه الصفة بصورة مطلقة، وكما هو منتظر فإن هذا التكريم له آثاره المحسوسة في الحياة، في التشريع، والآداب، والعادات ... فالإسلام يقرر لأقل عبد رقيق الحق في العتق إذا ما تبين أنّ ربه ظلمه في العمل، أو في العذاء".[2]

لقد جاء الدين الإسلامي ليحرر العقل، وذلك عن طريق التدبر، ويحرك وعي الإنسان ومحاولة إيجاد العلاقات بين الأشياء دون جمود أو جحود، وهذا ما أكد عليه مالك بن نبي باعتبار المشكلة هي مشكلة الإنسان، ومن المفترض أن نحرره من القيود وتهيئ له الجو

[1] مرجع سابق، بشير ضيف الله، فلسفة الحضارة في فكر بن نبي، ص106.

[2] مصدر سابق، مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ص192.

المناسب والمحفز لقدراته ومؤهلاته، انطلاقا من خبراته لما يحمله من أفكار، وابتكارات وتجاربه، لأن الثورة الفعلية تكمن في تحرير هذا الإنسان فيصبح مؤهل للنجاح ف " مالك بن نبي عندما أراد أن يعالج مشكل الإنسان، افترض زائرا سماويا، مجهول المكان، معلوم الزمان يتصف بصفتين:

أ-الصمم: ليجعله فاقد القدرة على فهم الخطاب الأرضي، ليكون مالك بن نبي يعلم أن العالم المنحط له قدرة كبيرة على تبرير واقعه، وإرجاع التخلف إلى أسباب تاريخية وبالتالي يصبح الزائر السماوي متحرر من ما ينتجه العقل التبريري، ولعل مالك بن نبي لا يريد أن يطلع الزائر على ما أنتجه رواد الحركة الإصلاحية كشكيب أرسلان و أبي الحسن الندوي ورشيد رضا وغيرهم ... لأنه ينفر من أطروحتهم المتكلسة : لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم.

ب-البكم: لكي يكون فاقد القدرة على التواصل مع الإنسان الأرضي ، للعلة السابقة ذاتها ، فالتواصل يقود إلى النتيجة نفسها التي توصل إليها مالك بن نبي في حوار مع علماء الدين ورواد الإصلاح أي التبرير ...مما لا يدعو إلى الريبة والشك أن الزائر السماوي سيلاحظ بعد أن جاب المحورين شرقا وغربا، شمالاً وجنوبا، مدى الفرق والاختلاف الواقع بين المحورين، محور التقنية والتطور ومحور الفطرة والتخلف، فمحور واشنطن وطوكيو محور الحضارة والتقدم، ومحور الإنسان المحرك للتاريخ، بينما المحور الثاني محور الانسان التابع والمغلوب على أمره، أو كما قال طه حسين وفرانزفانون [المعذبون في الأرض].[1]

وفي نهاية الزيارة يوصلنا إلى لحظة الحدس والانبثاق، إنه حدس بعيد عن أي أحكام قبلية او بعدية، فالكائن السماوي حدس أنّ الأزمة تكمن في الكائن البشري، فالمحور الأول (واشنطن –طوكيو) يمتلك الإنسان النموذجي المنسجم مع افكاره وروح ثقافته، وعلى منوال هذا النسق الإفتراضي، ينتهي مالك بن نبي إلى وضع مشكل التخلف في إطار عالم

[1] مرجع سابق، عبد القادر بوعرفة، الحضارة ومكر التاريخ، ص 43-44.

الأشخاص والأفكار ولا في إطار عالم الأشياء، إذ أنّ الزائر السماوي لاحظ مدى وفرة الشيء في المحور الثاني أكثر منه في الأول".[1]

إذن الإنسان هو محور كل فعل حضاري أو تاريخي، وأن أي محاولة تغيرية لا تجعل الإنسان محور لها هي قفزة في الفراغ، "وحتى يتحقق التغير في محيطنا، يجب أن يتحقق أولاً في أنفسنا، وبذلك تتوفر شروط رسالة المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين، وإلا فإن المسلم لن يستطيع إنقاذ نفسه، ولإنقاذ الآخرين".[2]

الإنسان حسب مالك بن نبي هو العنصر الأساس في الحضارة، فهو يؤثر بمؤثرات ثلاثة:فكره وماله وعمله، ولهذا فعلينا لإحداث نهضة حضارية أن نهتم بالإنسان وذلك من خلال مقولته، "إذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ، وإذا سكن، سكن المجتمع والتاريخ" ومن خلال الفكر يتم توجيه هذه القوى الثلاثة، الفكر والمال والعمل، لكي تتفاعل وتنسجم. إذن الأفكار هي التي تؤثر في القوتين:المال والعمل فالأفكار هي التي تدفع إلى التحضر وبناء الإنسان، وتوجيه قواه وتوجيهه ودفعه إلى النهضة.

ومشكلة الإنسان في الفكر الإسلامي" أن الإنسان مغيب كمركز ومعلم، وحاضر كمهتم وموضوع هامشي في كل المقدمات الفكرية .عندئذ حاول مالك بن نبي أن يلفت الانتباه كون أي مشروع فكري أو إصلاحي لا يضع الإنسان مشكلته الجوهرية يكون حتما مشروعا فاشلا منذ لحظة ميلاده، والمثال على ذلك أن الحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي، رغم مشاريعها المتنوعة لكنها لم تستطع إحداث القفزة والنقلة الحضارية ، لأنها لم تهتم بالإنسان كإنسان، وعند دراسة مالك بن نبي ، نلاحظ تلازم حضوري بين ثلاثة عناصر أساسية: الإنسان (l'homme) ، التراب (le sol)، الوقت (le temps).

[1] نفس المرجع، عبد القادر بوعرفة، ص 45.

[2] مالك بن نبي، دور المسلم ورسالته، دار الفكر، دمشق، ط1، 1979، ص60.

فالحضارة يدخل في تركيبها كمشكلة كلّ من الإنسان والتراب والوقت، غير أنّ دور الإنسان يأخذ الأولوية التامة ، ونلاحظ ذلك من خلال معادلته المشهورة :

حضارة =إنسان +تراب + وقت".[1]

فترتيب هذه العناصر يستند إلى معطى علمي، الذي يعكس الواقع الاجتماعي الذي تنتمي إليه الحضارة.

" ولنلاحظ الحالات التالية التي استنتجها من خلال اللامنطوق :

أ- إنسان + تراب +وقت =حضارة فاعلة.

ب- تراب +إنسان +وقت =حضارة مضطربة.

ج-تراب +وقت +إنسان =حضارة آفلة.

وكل معادلة إلا وتناسب طردا مع مرحلة من مراحل الدورة الحضارية، وكلّ معادلة تعكس ظاهرة التحول من جهة أخرى ، فكلما كان الإنسان مركز الاهتمام ومقياس وعلة كلّ الأشياء كانت الحضارة متواجدة في حلبة الصراع، أو حسب تعبير كروتشيه بيندتو يكون الإنسان دخل حركة التاريخ الحي وخرج من سكونيته التاريخ الميت".[2]

[1] مرجع سابق، عبد القادر بوعرفة، الحضارة ومكر التاريخ، تأملات في فكر مالك بن نبي، ص50.

[2] نفس المرجع، ص 51.

أ- إنسان الفطرة:

يقصد مالك بن نبي من خلال هذا المصطلح ولعموم الشخصية الإنسانية هو الاهتداء إلى البعد الديني، ف" تتجلى لنا هذه الحقيقة من خلال استقراء العوامل والسنن المتحكمة في ميلاد الحضارات وانحطاطها، وبصفة أخصّ من خلالها حالة الفرد والمجتمع قبل وبعد دخول الفكرة الدينية مبدآن التأثير، ثم حفوت درجة تأثيرها إلى أن تخمد نهائيا".[1]

"وعندما يتحرك رجل الفطرة، ويأخذ طريقه لكي يصبح رجل حضارة، فإنه لا زاد له سوى التراب والوقت وإرادته لتلك الحركة، وهذا لإنتاج لحضارة في بدئها رأسمال إلا ذلك الرجل البسيط الذي تحرك، والتراث الذي يمده بقوته الزهيد، حتى يصل إلى هدفه، والوقت اللازم لوصوله، وكل ماعدا ذلك من قصور شامخات، ومن جامعات وطائرات، ليس إلاّ من المكتسبات، لا من العناصر الأولية".[2]

إذن إن حركة الإنسان كما سطرها مالك بن نبي موجهة إلى رجل الفطرة، ذلك الذي لم يكفيه الاستبداد أو الفساد ...الخ وبالتالي لم يتكيف معه " فنفسيته في المجتمعات التاريخية على الأقل مفعمة بالنزعة الدينية ، تلك التي تعد جزءاً من طبيعته، وهو ماجعل علم الاجتماع يقوم في تعريف الإنسان بأنه:(حيوان ديني)، وهو بذلك يحدد جانبا من الأساس النفسي العام في أفراد النوع، وفي كل فرد يبني شخصيته الخاصة على هذا الأساس، أي أن الدين يتدخل في عملية البناء ويتدخل مباشرة في عملية التكييف، التي هي عملية ترشيح أو تنحية جانب، وعملية انتقاء أو بعث للإحساس من جانب آخر".[3]

"والمجتمع الإنساني يمكنه أن يستغني وقتا عن مكتسبات الحضارة ، ولكنه لا يمكنه أن يتنازل عن هذه العناصر الثلاثة التي تمثل ثروته الأولية، دون أن يتنازل في الوقت نفسه عن

[1] مرجع سابق، بودقزام عمران، التجديد في المشروع الحضاري عند مالك بن نبي، ص167.

[2] مرجع سابق، سليمان الخطيب، فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي، ص80.

[3] مصدر سابق، مالك بن نبي، ميلاد مجتمع ، ص69.

جوهر حياته الاجتماعية، وتلك هي القيم الخالدة، التي نجدها كما وجب علينا العودة إلى بساطة الأشياء، أي في الواقع كلما تحرك رجل الفطرة، وتحركت معه حضارة في التاريخ"[1] يكون الإنسان قبل دخول الفكرة الدينية كعامل مؤثر أي " قبل تسجيل هذه الفكرة في الأنفس في حالة "الفطرة" أو "الإنسان الطبيعي" مع جميع غرائزه كما وهبته إياها الطبيعة، أي أنه قابل لإنجاز عمل محضر ذلك لأن إنسان الفطرة يحتفظ بطاقة كامنة تؤهله للقيام بدوره التاريخي في بناء الحضارة،فكلما تحرك رجل الفطرة تحركت معه الحضارة في التاريخ، وهذا لأنه مهيأ بالفطرة لتحقيق ذاته اجتماعيا، ومن ثم يحقق إرادته في التاريخ فيدخل بالحضارة إلى مجالها الأوسع وسع مجال الإنسانية".[2]

يقول بن نبي "وليس من الضروري ولا من الممكن أن يكون لمجتمع فقير، المليارات من الذهب كي ينهض بالرصيد الذي وضعته العناية الإلهية بين يديه الإنسان والتراب والوقت".[3]

إذن "الإنسان هو الشرط الأساسي لكل حضارة، وأن الحضارة تؤكد دائما الشرط الإنساني، فالإنسان إذن هو محور الفعالية في حركة الحضارة، فعليه مدار الاختيار–وعطائه في إطار حضارته– وبالتالي في الحضارة الإنسانية ككل – محدد بالصقل الفكري، والتكوين الثقافي في المتأصلين في بيئته الحضارية، لقد أراد الله للإنسان أن يكون خليفته في أرضه **{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلفِيالْأَرْضِ خَلِيفَةً} البقرة:30**، ومسألة الاستخلاف هذه، تجعل الإنسان يقف دائما كخليفة مفوض من الله تعالى –وهو خالقه– لإعمار العالم:{ **قَالَيَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكُم مِّنِ إِلَهٍ غَيْرُهُۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنِ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} هود:61**،ولأن التقدم الحضاري منوط بالإرادة الحضارية ، والتي بدورها رهن بدور الإنسان وفعاليته من

[1] مصدر سابق، مالك بن نبي، شروط النهضة، ص60.

[2] مرجع سابق، بودقزام عمران، ص168.

[3] مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه، دار الفكر، الجزائر، ط2، 1988، ص60.

أجل الإنجاز"[1]، فهو لم يتكيف مع امتهان كرامة الإنسان، والحجر على حريته، وتقييد مصيره بآخر، وهنا تكمن جوهرية فعل التغيير المطلوب، وهي العمل الشاق والجاد على تحرير كرامة الإنسان، وإلاء الحرية كقيمة قرآنية، وتعليم الناس كيف يفكوا قيود مصيرهم بأنفسكم، وتعليمهم كيف يخططون من أجل التغير، تغير أنفسهم وواقعهم إلى حركة التغير، عن قناعة وإرادة، فإذا قاموا بهذا التغير تحقق الحركة كل غاياتها في حركة المجتمع والتاريخ، ف" القضية ليست قضية أدوات وإمكانيات إن القضية في أنفسنا إن علينا أن ندرس أولاً الجهاز الاجتماعي الأول وهو الإنسان، فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ، وإذا سكن المجتمع والتاريخ، ذلك ماتشير إليه النظرة في تاريخ الإنسانية منذ أن بدأ التاريخ، فنرى المجتمع حينا يزخر بوجود النشاط، وتزدهر فيه الحضارة، وأحيانا نراه ساكنا لايتحرك يسوده الكساد وتغمره الظلمات، وهل هذه المظاهر غير تعبير عن حركة الإنسان أو ركوده؟"[2]، ويضرب لنا مثالاً على هذه الفكرة بقوله:" كبلجيكا نجد الرجل لا يتمتع بتوازن اقتصادي في حياته، فهناك اضطراب نتج عن عدم الملاءمة بين حاجاته وتيار الإنتاج الصناعي المسرع، ومن هنا تنشأ مشكلة اجتماعية يعانيها شعب بلجيكا، وهي مشكلة "حركة" مضطربة لا يشعر بها شعب لا يعيش في مجال هذا التيار، بينما البلاد الإسلامية على نقيض ذلك من أزمتها ليست في الحركة، "بل في الركود" هو مشكلة الإنسان المتوطن فيها، الذي عزف عن الحركة، وقعد عن السير في ركب التاريخ، فالأمرفي الحالة الأولى يتعلق بحاجات غير مشبعة، وديناميكية مضطربة، وعلى حين يتعلق في الأخرى بعادات راكدة وضعت الفرد في حالة توازن خامد، وخمول تام في الوقت الذي خطت فيه الحضارة خطوت العماليق، وعليه فالأمر متصل بمشكلتين مختلفتين في أساسهما، فهنالك هم في حاجة إلى مؤسسات، بينما تحتاج هنا إلى رجال، فمن الرجل تنبع المشكلة الإسلامية بأكملها ، فالمسألة

[1] مرجع سابق، سليمان الخطيب، فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي، ص81.

[2] مصدر سابق، مالك بن نبي، تأملات ، ص125.

هي:أنه يجب أن نصنع رجالاً يمشون في التاريخ، مستخدمين التراب والوقت والمواهب في بناء أهدافهم الكبرى".[1]

- **مراحل المجتمع الفطري:**

"أما بالنسبة للمجتمع فهو بدائي يواجه نشاطاته البدائية بوسائل تمثل عالمه الثقافي المتواضع، الذي يتميز بالسكون والخمود، أمّا عوالمه الثلاثة فهي متمركزة في نطاق ضحل لا يرتقي إلى أن تكون المحرّك لهذا المجتمع وانطلاقا من هذه الحالة الفطرية، تبدأ مسيرة الدورة الحضارية التي حددها في ثلاثة أطوار للحضارة ،كل طور يتميز بخاصية معينة".[2]

ومن خلال هذه الحالة الفطرية حدد ثلاث مراحل وهي كالآتي:

1- الطور الأول : طور الانبعاث وميزته الروح

2-الطور الثاني: طور الانتشار والتوسع وميزته العقل

3-الطور الثالث: طور الأفول وميزته الغريزة

1) الطور الأول: طور الانبعاث وميزته الروح

تبدأ ببزوغ الفكرة الدينية، تقوم بتركيب عناصر الحضارة، وتنظم الطاقة الحيوية للأفراد ، وتبعث فيهم الحركة والنشاط ، فيتحرر الفرد من هيمنة الغريزة ويخضع لهيمنة الروح.

"وهي تلك الفترة التاريخية من الحضارة الإسلامية التي تبدأ مع نزول أول آية من القرآن الكريم واستمرت حتى معركة صفين"[3]

[1] مصدر سابق، مالك بن نبي، شروط النهضة، ص75.

[2] مرجع سابق، بودقــزام عمران، ص168.

[3] مصدر سابق، مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ص104.

فيبدأ هذا الطور لحظة دخول الفكرة الدينية دائرة التأثير أو "تسجيل هذه الفكرة في الأنفس"[1] فعلى المستوى الفردي" يمثل الإنسان الفطري عنده المادة الخام المستعدة للتغير، نظراً لما يحمله ضميره من رصيد أخلاقي وروحي ضخم يؤهله لممارسة دوره الاجتماعي"[2] إذن فالمرحلة الأولى من مراحل الحضارة الإسلامية ابتدأت من غار حراء إلى صفين، وتعتبر المرحلة الرئيسية التي تركبت فيها عناصرها الجوهرية، فكانت دينية بحتة تسودها الروح" ففي هذه الحقبة ظلت روح المؤمن هي العامل النفسي الرئيسي، من ليلة حراء إلى أن وصلت إلى القمة الروحية للحضارة الإسلامية، وهو مايوافق واقعة صفين38هـ ...وهكذا وجدنا الحضارة الإسلامية تتوسع وتنتشر فوق الأرض، تتغلب أولاً على جاذبيتها بما تبقّى لديها من مخزون روحي، حتى إذا ما وهنت فيها قوى الروح ، وجدناها تخلد إلى الأرض شيئا فشيئا، وقد بدأ العلم في تلك الحقبة ينتشر بفضل أساتذة سطعت أسماؤهم في جو المعرفة،كالفرابي وإبن سينا وأبي الوفاء،وابن رشد ... إلى ابن خلدون الذي أضاءت عبقريته غروب الحضارة الإسلامية في نهايتها.ومن هنا نستطيع أن نقرر أن المدنيات الإنسانية حلقات متصلة تتشابه أطوارها مع أطوار المدينة الإسلامية والمسيحية،إذ تبدأ الحلقة الأولى بظهور فكرة دينية،ثم تبدأ أفولها بتغلب جاذبية الأرض عليها بعد أن تفقد الروح ثم العقل". [3]

2-الطور الثاني: طور الانتشار وميزته العقل

يرى بن نبي أن في هذا الطور تنعطف الحضارة بسبب المشكلات المادية الناتجة عن توسع المجتمع، تكف فيه الروح عن السيطرة المطلقة على الغرائز، ويبدأ عهد العقل فتنقص الفاعلية الاجتماعية للفكرة الدينية، فيبدأ المرض الاجتماعي للفكرة الدينية، بالظهور فتستعيد الطبيعة سيطرتها على المجتمع والفرد شيئا فشيئا وتمثل هذه المرحلة تنازلاً لعالم الروح إلى

[1] مرجع سابق، بودقــزام عمــران، ص169.

[2] مرجع سابق، نورة خالد السعــد ، التغيــر الاجتماعــي في فكــر مالك بن نبي، ص128.

[3] مصدر سابق ، مالك بن نبي، شروط النهضة ، ص52-53 .

عالم العقل تمكن العقل من الفهم وتحفزه على الأخذ بالعلم، على عكس مرحلة الروح حيث قوة الإيمان، و"حتى تستطيع هذه الحضارة تلبية هذه المقاييس المستجدّة تسلك منعطفا جديداً هو منعطف العقل"[1] فتظهر في هذا المنعطف بداية مراحل التدهور الحضاري وهذا مايجعلنا نتساءل: ما قيمة العقل إذا غابت فيه القيم الروحية والإيمانية؟.

أ- المستوى الفردي:

"نلاحظ علاقة طردية بين تحرر الغرائز من قيودها، وبين سلطة الروح، فكلما ضعفت سلطة الروح انطلقت الغرائز، ذلك لأنّ العقل – برأيه- لا يملك سيطرة الروح على الغرائز، ونتيجة لهذا العجز تشرع الغرائز في التحرر التدريجي.

ونلاحظ أيضا آمارات تتعلق بالأنا التي تصاب بالتضخّم، بسبب العقد النفسية الأنانية، والغرور، والعجب، وهو ما سينعكس سلبًا على علاقة الفرد بالمجتمع".[2]

ب- على المستوى الاجتماعي:

ويبدأ المجتمع في هذه المرحلة في الإستعانة بمناهج وتقنيات تساعد على انتشاره وتوسّعه، حيث تزدهر العلوم، وتكتمل شبكة روابطه الاجتماعية، وتسدّ الفجوات الاجتماعية، ويصبح بإمكان المجتمع تقديم كل الضمانات المادية والمعنوية للفرد".[3]

ج- على المستوى الثقافي:

يرى بن نبي أن استيقاظ الغرائز بسبب خفوت الروح، وضعف تأثير الفكرة الدينية، سينعكس سلبيا على ثقافة الأفراد، وبالتالي على واقع الثقافة في المجتمع، ويرجع هذا التراخي – برأيه- إلى إبتعاد المجتمع عن عالمه الثقافي الأصيل المبني على الفكرة الدينية كما كان في مرحلة الروح.

---

[1] نفس المصدر ، ص76.

[2] مرجع سابق، بودقــزام، عمران، التجديد في المشروع الحضاري، ص144.

[3] مرجع سابق، نورة خالد السعد، التغير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي، ص130-131.

وإن أفلح المجتمع في هذه المرحلة في تحقيق بعض المكاسب كتوظيف المناهج العلمية، والتوسّع الاقتصادي، والرخاء الاجتماعي، إلاّ أن هذه الوسائل لاتملك السيطرة على الغريزة، لأنها مستمدّة من العقل الذي يفتقد ميزة التحكم في الغرائز، وإذا ابتعد الإنسان عن عالم القيم والفضائل الخلقية ، التي تعتبر في نظره القوة الجوهرية في تكوين الحضارات، انفتح المجال لسلطان الغرائز، وهذا ما يؤدي إلى فقدان الفاعلية الاجتماعية للأفراد.[1]

د- مستوى العوالم الثلاثة:

"تصل العوالم الثلاثة إلى مستوى معين يكون فيه عالم الأشخاص في مستوى عالم الأفكار، وهذا الخير سينعكس على مستوى عالم الأشياء، حيث تطوع المادة لحاجات الحضارة.

واعتبر بن نبي أنّ أوج أي حضارة، أي ازدهار العلوم والفنون والصناعات، يلتقي في وجهة نظر علم العلل البحث، مع بدء مرض اجتماعي معين ، فتواصل الغرائز تحررها من سلطة الروح تدريجيا، إلى أن يحدث التحرر الكلي للغرائز، وهو بداية للطور الثالث هو طور الغريزة".[2]

3-الطور الثالث: طور الأفول وميزته الغريزة

وتسمى بمرحلة الانحطاط والانحلال، لا تعود فيه للفكرة الدينية من وظيفة اجتماعية، ويعود المجتمع منحل كما كان عليه في سابقه، وتتفكك شبكة العلاقات الاجتماعية بانحلال المجتمع وبهذا تنتهي دورة الحضارة.

من خلال"تعرُض مالك بن نبي لابن خلدون في إطار الفكر التاريخي الإسلامي وخاصة نظريته التي تدور حول الدورة الحضارية التي ردها إلى نطاق العصبية ... إذا كان مالك بن نبي يعد أبرز مفكر مسلم اهتم بقضية الحضارة، منذ ابن خلدون، فليس معنى هذا أنه يوافق

---

[1] نفس المرجع، بودقزام، عمران، التجديد في المشرع الحضاري، ص175.

[2] مرجع سابق، بودقزام عمران، التجديد في المشرع الحضاري، ص175-176.

على أراء ابن خلدون بإطلاق، فقد وقف منه وقفة نقدية وفي البداية نرى مالك ، برز منهجية ابن خلدون في تفسير التاريخ. فيقول: قبل ظهور بن خلدون كان التاريخ ضربا من الأحداث المتتالية حتى إذا جاء وجدناه يخلع على تاريخ نظرة جديدة ، فهو حين وصله بمبدأ السببية أدرك بتلك النظرة معنى تتابع الأحداث، من حيث كون عملية تطور، كما حدد معنى الواقع الاجتماعي من حيث كونه مصدرا لتلك الأحداث ولتطورها". [1]

"وهذه هي النقطة الأولى: في موقف مالك بن نبي من أراء ابن خلدون حيث أبرز النقاط التالية:

أ- أن التاريخ قبل إبن خلدون افتقد تحليل الروابط بين الأحداث.

ب- أن أحداث التاريخ يحددها الواقع الاجتماعي الذي أفرزها، وكانت نتاجا له.

والنقطة الثانية: كانت حول نظرية الدورة الحضارية".[2] يقول مالك بن نبي " كان إبن خلدون وحده، أول من استنبط فكرة الدورة في نظريته عن "الأجيال الثلاثة" حيث يختفي عمق الفكرة خلف مصطلحات ضيقة ضحلة، فقد رد نطاق الحضارة إلى حدود العصبية الأسرية، وعلى الرغم من ضيق هذه النظرة التي قد تعكس لنا عناصر النفس الإسلامية آنذاك، فإنها تدفعنا إلى تأكيد الجانب الانتقالي في الحضارة أي أننا لا نرى فيها سوى تعاقب ظواهر عضوية ، لكل منها بالضرورة من مجالها المعين بداية ونهاية".[3]

أما النقطة الثالثة هي نظريته حول الأجيال الثلاثة للحضارة ، حيث يقول مالك بن نبي " إن إبن خلدون قد تمكن من اكتشاف منطق التاريخ في مجرى أحداثه، فكان بهذا المؤرخ الأول الذي قام بالبحث عن هذا المنطق ، غذ لم نقل أنه قد قام بصياغته فعلا، فقد كان يمكن أن يكون أول من أتيح له أن يصوغ قانون الدورة التاريخية، لولا أن مصطلح عصره، قد

[1] مصدر سابـــق، مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص27.

[2] مرجع سابق، سليمان الخطيب، فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي، ص54.

[3] مصدر سابق، مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ص24.

وقف به عند ناتج معين من منتوجات الحضارة، ونعني به (الدولة) وليس عن الحضارة نفسها، وهذا لم نجد فيما ترك ابن خلدون غير نظرية عن تطور الدولة في حين أنه كان من الإحدى لو أن نظريته رسمت لنا تطور الحضارة، حيث كنا نستطيع أن نجد فيها ثروة من نوع آخر، غير ذلك الذي أثارنا به فعلاً، إذ لم تكن عبقرية ابن خلدون بعاجزة عن ترسم لنا ذلك التطور في صور منهج قائم بذاته".[1]

نلاحظ أن إبن خلدون قد مزج الظاهرة الحضارية (بالدولة) هذا ما أدى إلى اعتراض مالك بن نبي له، لأن الدولة كيان خاص والحضارة كيان عام، وتحليل الحضارة يكون كخاصية إنسانية مركبة وليس بسيطة ، فيجب أن نتجاوز الجانب السياسي المتمثل في صورة الدولة المعبر عن مسألة الحضارة.

فالعالم الإسلامي حسب مالك بن نبي في هذه المرحلة "فقد تغلغلت في نفسه دواعي الانحطاط فهو دائما في منتصف الطريق، في منتصف الفكرة في منتصف التطور، لايعرف كيف يصل إلى هدفه، إذ ليس نقطة الانطلاق في التاريخ كرجل الفطرة (الطبيعية) ولانقطة النهاية كرجل الحضارة، بل هو نقطة التعليق في التطور في التاريخ في الحضارة، إنه الرجل النصف– في كل شيء– والذي دخل ميدان فكرة هي الإصلاح، فمسخها (نصف فكرة) وأطلق عليها اسم (السياسة) لأنه لم يكن مستعد إلاّ لنصف جهد، نصف اجتهاد (تفكير) ونصف طريق".[2]

إذن فالحضارة تقع بين حدين الميلاد والأفول، والمنحنى البياني يبدأ بالضرورة من نقطة الانطلاق على شكل خط صاعد، وصولاً إلى النقطة الثانية في خط نازل، وبين الطورين يوجد بالضرورة اكتمال معين هو طور انتشار الحضارة وتوسعها، هذا يعني أن الحضارة هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته.

---

[1] مصـــدر سابق ، مالك بن نبي ، شروط النهضـــة ، ص62.

[2] موسى لحرش ، مكانة الإنسان في عملية التجديد الحضاري للعالم الإسلامي عند مالك بن نبي ، المجلة الجزائرية للدراسات السوسيولوجية ، ص 16.

2-نموذج إنسان مابعد الموحدين: (مجتمع ما بعد الموحدين)

إنسان ما بعد الموحدين هو الذي خلف إنسان الحضارة الإسلامية، والذي كان يحمل في كيانه جميع الجراثيم والأمراض ، التي نجم عنها العديد من المشاكل في العالم الإسلامي إلى الحين وأكثر مشكلة تعرض لها هي التخلف، فأصبح يعيش في غيبوبة عن صناعة التاريخ، ويرى مالك بن نبي" أن المشكل وليد الانحراف التاريخي والتحول الحضاري الذي حدد مالك بن نبي معلمه بسقوط دولة الموحدين بالغرب الكبير عام 1939، مما أدى إلى ظهور الإنسان المرفوض،الذي اصطلح بن نبي على تسميته بإنسان مابعد الموحدين

"(L' HOMME POST EL MOUAHIDINE)". [1]

كما يعتبر مصطلح" إنسان ما بعد الحضارة "مصطلحا عاما ، لذلك نجد مالك بن نبي يطلق عليه إنسان ما بعد الموحدين، نسبة إلى دولة الموحدين في المغرب العربي الكبير والأندلس، وهو يجعل سقوط دولة الموحدين (668هـ/1269م) بداية دخول الحضارة الإسلامية، وسماه مالك بن نبي بطور الغريزة، وهو الطور الذي تحلل فيه ذلك التركيب الذي تشكلت منه الحضارة في بدايتها مع ظهور الفكرة الدينية، ومرحلة ما بعد الموحدين، وهي المرحلة التي لم يتمكن إنسان اليوم إحداث القطيعة معها لتجاوزها فعليا ولا توهما، فما زالت بقاياها تلاحقه اليوم، قابعة في أعماق، هذا ما أدى إلى انحطاط وتخلف المسلمين في هذا الصدد نجده يقول"سقوط دولة الموحدين الذي كان حقيقة سقوط حضارة لفظت آخر أنفاسها، ثم يبدأ تاريخ الانحطاط بإنسان ما بعد الموحدين".[2]

إنسان هذه المرحلة عاش فترة من التمزق وتنمية الصراعات، وهو إنسان خرج من الدورة الحضارية لم يعد قادرا على إنجاز أي فعل حضاري فقد طاقته الحيوية وهو يعطينا صورة للإنسان المنحل أو الإنسان الذي خرج من الدورة الحضارية،فأصبح مجتمع ما بعد

[1] مرجع سابق، عبد القادر بوعرفة، الحضارة ومكر التاريخ، تأملات في فكر مالك بن نبي، ص48.

[2] مصدر سابق، مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ص36.

الموحدين "مجتمع متفسح استولت عليه الجراثيم والأمراض وتكاثرت مع الزمان، فهو لم يعد يقدر على ردعها لأن جهازه المناعي قد إنهار، ولما كان الهدف من التغيير الاجتماعي عنده هو بناء حضارة، فإن الهدف كي يتحقق عند إعادة بناء الحضارة يتضح في أن القضية في هذه الحالة ليست تبديل بناء حضاري ببناء حضاري، ولاهي قضية سد فراغ حضاري تعيشه شعوب العالم الإسلامي، وإنما هي تحديد الداء الذي يشكو منه هذا العالم من منظوره التاريخي ليس إلاّ".[1]

يقول مالك بن نبي:" إن الإيناء يرشح بما فيه ، حيث أن فكر ما بعد الموحدين، مستعد لكي يمتص الموت من جانب لأنه من جانب آخر يرشح به، هذه الظاهرة المزدوجة تثير مشكلة من نوع خاص، محددة بصورة معينة، لا يجوز لنا أن نتناولها في صورة غيرها كي لا تنعكس من نوع خاص، محدد بصورة معينة، لا يجوز لنا أن نتناولها في صورة غيرها كي لا تنعكس القضية، فلا يجوز لنا أن نتساءل: لماذا لاتوجد عناصر قاتلة في الثقافة الغربية؟ بل فليكن سؤالنا في صورة أخرى: لماذا تمتص طبقتنا المثقفة في البلاد الإسلامية هذه العناصر القاتلة؟ فهذه هي الصورة الحقيقية للمشكلة، حيث أنه من الواضح أن المسؤول في الأمر ليس مضمون، الثقافة الغربية الذي يتضمن، فعلا هذه الأفكار الخطيرة، ولكن اتجاه فكر ما بعد الموحدين الذي يدفع هذه الحضارة، ماهي إلا إفرازاتها وجانبها الميت الجانب الذي يمتص فكر ما بعد الموحدين في جامعات العواصم الغربية"[2] يعيش العالم الإسلامي صراع بين ثنائيتين" إنه الصراع الذي يعيشه المسلم منذ اتصاله بالحضارة بمجيء الحملة الفرنسية، صراع بين النقل والعقل، والعلوم الشرعية كعلوم القرآن والحديث والفقه، والعلوم الحديثة كالطب والهندسة والكيمياء، ونظم الحكم الديمقراطية والخلافة، ما جعل الفرد في المجتمع الإسلامي عاجز عن التقدم، والتخلي عما تعارف عليه

[1] مرجع سابق، نورة خالد السعد، التفكير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي ص174

[2] مالك بن نبي، في مهب المعركة، دمشق، دار الفكر، 1981 ، ص131-132.

الناس، عاجز عن اجتياز مراحل تاريخية جديدة، عاجزا عن ابتكار المعاني والأشياء الجديدة وتماثلها ، فالميل إلى المحافظة هنا ليس إراديا بل هو حقيقة افتقار ونقص".[1]

يفتقر إنسان مابعد الموحدين إلى عنصر مهم وهو الفعالية، فيرى أن الحضارة ماهي إلاّ تكديس للمنتجات، وليست بناء وهندسة. أي أننا مغرمون بالنظر إلى الأروبي في مظهره فحسب، فإنسان مابعد الموحدين لا يرى تطور الحضارة وإنما يرى منتجاتها " فهو لا يرى المرأة التي تجمع قبضات العشب لأرانبها ، إنما يرى التي تصبغ أظافرها وشعرها، وتدخن في المقاهي والندوات، وهو لايرى الصانع والفنان منكبين على عملهما ليحققا فكرة صفحة،المادة ولن يلاحظ كيف يتعلم الطفل معنى الحياة، واحترام الحياة ...هو يدلل قطة، أو يغرس زهرة، بل لن يلفت نظره لذلك الفلاح الكادح ، وهو يقف في نهاية خط محراثه ليحكم على عمله متفاعلا مع التربة تفاعلاً هو الجميرة التي تصنع منها الحضارات".[2]

نلاحظ من خلال هذا أن مالك بن نبي يسعى من أجل بناء إنسان هذا الإنسان الذي يعيش فترة ما بعد الموحدين، إنسان يعيش غيبوبة عن صناعة التاريخ فهو يبحث في شيء مهم جدا في الإنسان هو الفعالية وفعالية الإنسان هو حضوره والمشاركة في تاريخ القرن 20.

"إن أهم معوقات التوحد بين العالم الإسلامي، انشطاره بسبب الصراعات الإديولوجية، والفراغ العقائدي متناقضة متخاصمة ممزقة الأوصال، بحيث أصبحت بلا كيان، فاقدة روحية وأخلاقية، فكانت الفرقة التايد وتهديد كيان الأمة، ولقد تحين هذه النهاية والمجتمع متخم بالأشخاص والأفكار والأشياء، كما كانت حال المجتمع الإسلامي في الشرق، في نهاية

[1] مصدر سابق، وجهة العالم الإسلامي، ص34.

[2] نفس المصدر، ص67.

العصر العباسي، وفي المغرب، في نهاية عصر الموحدين، وربما كانت هذه الحالة من التحلل والتمزق في المجتمع الإسلامي ، حين أصبح عاجز عن أي نشاط مشترك".[1]

وهي التي أشار إليها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، قالو: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله قال: لا بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن ، قيل وما الوهن، يارسول الله ؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت".[2]

إذن إنسان ما بعد الموحدين دخل مرحلة الكبت والشعور بالنقص، فتكونت لديه مجموعة من العقد فأصبح المجتمع الإسلامي مجتمعا مفككا، عاجز عن القيام بأي عمل خلاق، يقوم على منطق التحدي، فظهرت عليه مجموعة من الأعراض الصبيانية التي تكون مقرونة في الغالب في الذات الإنسانية، نذكر أبرزها:

1_" الأمراض الصبيانية الخاصة بإنسان ما بعد الموحدين أنتجتها ظروف كونية تتعلق بمسألة الدورة أساسا ، وبالتالي هي حالة تصيب كل إنسان عرف الحضارة .

2_العامل الاستعماري نما الأمراض شبه الصبيانية عن طريق حلبة الصراع الفكري من أجل تمديد عصر السبات الحضاري.

3_ الأمراض شبه الصبيانية تجعل الإنسان يركن إلى الغريزة وتفقد الروح فرقدها العقل نوره، ويغدو الإنسان مجرد طفل حضاري، وشبه مالك بن نبي المرحلة التي يعيشها المسلم من عصر ما بعد الموحدين بمرحلة الطفولة لدى الكائن البيولوجي.

4_ الأمراض شبه الصبيانية تنتج عطالة في ثلاثة قوى، العقل، القلب، اليد، وبالتالي تنتج ثلاث أزمات: أزمة عقل انعكست سلبًا على التفكير وأنتجت إما فكرا ميتا أو مميتا، وازمة روحية مست النفس فكان الانزواء والانطواء الحضاري، وأصبح الدين مجرد طقوس

[1] مرجع سابق، سليمان الخطيب، فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي، ص138.

[2] مصدر سابق، ميلاد مجتمع، ص39، والحديث رواه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، ج4، حديث 158.

وعادات، والأزمة الثالثة تجلت في الإنتاج والإستخلاف، فلم تزرع اليد ما تأكل، ولم تنسج ماتلبس ولم تصنع بما تعمل.

5_ الأمراض شبه الصبيانية تدخل تحت إطار "ما ضد الإنسان" (ANTI –HOMME). وبالتالي تعتبر نقطة خطيرة في مجال البعث الحضاري، لأنها مرتبطة بالمرحلة الأخيرة تعكس مرحلة الوهن الفكري والنفسي الناتج عن تراكم مجموعة الأمراض، التي أدت إلى إخراج المسلم من المركزية الحضارية التاريخية إلى هامش التاريخ أو مزبلة الحضارة كما قال بن نبي، إذ تحوّل الإنسان إلى مجرد صبي في حركة الحضارة والتاريخ.

6_ الأمراض شبه الصبيانية تعكس أن مشكلة العالم الإسلامي تكمن في النموذج وأن الذوق العربي هو نفسه مريض: فالذوق العربي لا يدر تماما إستغرابه، لأنه لم يفكر في مشكلة النموذج".[1]

3-الانسان من خلال العصور الفكرية:

" إن العامل الفكري يدخل كعنصر أساسي في مشكلة الإنسان، ونجد مالك بن نبي يضعه كعالم مقابل عالم الأشخاص وعالم الأشياء.

لقد ألف مالك بن نبي كتابا تحت عنوان مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي حدد فيه معالم المشكل الأساسية من خلال النقاط التالية".[2]

أ_ الإنسان بين الأفكار المطبوعة والأفكار الموضوعة:

الأفكار المطبوعة بالنسبة لمالك بن نبي هي أفكار أساسية تختلف من مجتمع لآخر حسب طبيعته وأصوله الثقافية.أما الأفكار الموضوعة هي عبارة عن تطبيق الأفكار المطبوعة مع اختلاف الأفراد والأجيال،"لقد تلقى المجتمع الإسلامي الأول رسالته المطبوعة منذ أربعة عشر قرنا جاء بها الوحي من عند الله. وطبعت هذه الرسالة في نفسية وشخصية

[1] مرجع سابق، عبد القادر بوعرفة، الحضارة ومكر التاريخ، ص84-85.

[2] مرجع سابق، عبد القادر بوعرفة، الحضارة ومكر التاريخ، ص59.

الجيل الأول الذي خرجت منه مايشبه السيمفونية البطولية لدين، وصفه "نيتشه" بأنه " دين رجال"

ولقد أثارت الأفكار المطبوعة هذه؛ عواصف في تاريخ الإنسانية، بدأت بقلب المجتمع الجاهلي البدائي، ووضعت طاقته الحيوية في إطار حضارة جديدة، وطوعت هذه الطاقة وأخضعتها لقواعدها وأصولها ونظامها الدقيق وكانت اللحظة المشرقة التي لا مثيل لها هي الت عاشتها الجزيرة العربية وقت تلقي هذه الرسالة".[1]

إذن الأفكار المطبوعة هي تلك الأفكار الموجودة في القرآن والسنة تلك هي الأفكار الأساسية، وهنا نضرب مثال < الزكاة > فالغني يزكي أمواله للفقير، هذه الفكرة مطبوعة في الإسلام .

_ أما الأفكار الموضوعة" أخذت تتعمق في سائر الأفكار الموضوعة وعلى كل المستويات وعلى جميع أنواع السلوك، فليس هناك شيء بعيد عن الدين الذي يشمل كل الدنيا (جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا)، وفي هذه الظروف يمكننا أن ندرك مدى فداحة أقل الذنوب وأصفر الأخطاء. إذ كان لدى كل فرد حساسية أخلاقية وجمالية شديدة".[2]

إذن الأفكار الموضوعة هي عبارة عن تطبيق للأفكار المطبوعة وذلك حسب اختلاف الأفراد والأجيال، 'فالزكاة' حسب التطور التكنو لوجي يتم توزيعها عبر مراكز البريد.

وعندما تبدأ الأفكار المطبوعة في الزوال والاختفاء كلما أدى إلى سيطرة الأفكار الموضوعة، فتنفصل الذات عنها:

[1] مالك بن نبي، تبسيط مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة محمد عبد العظيم علي، دار الدعوة ، الاسكندرية، ط1، 1997، ص31.

[2] نفــس المرجع ، ص32

« le rapport entre les ideesescprinees quand les premières commencent as'effecer sur le disque d'une civilisation il donne d'abord fousses notes des siflements et des crachements puis le silence »[1]

ب–الإنسان بين الأفكار الميتة و الأفكار المميتة:

الأفكار الميتة أفكار موضوعة من دون جذور بالأفكار المطبوعة حيث يصبح المجتمع في هذه المرحلة مجتمع متخلف قابل للاستعمار "بعد أن عاش المجتمع الإسلامي اللحظات المجيدة ... عاد في الوقت الحاضر ليعيش في عصر صمت الأفكار الميتة"[2] فالأفكار الميتة "تحمل في جوانبها نوعا من الأصالة، لكنها فقدت الفعالية والحركة، لأنها وجدت في زمن مضى ولم يعد لوجودها دور في واقعنا المعاصر، وبالتالي فوجودها كعدمها. ويعطي مثالا على أحد أبرز مظاهرها، فمن المعلوم أن محمد عبده أراد أن يعالج مشاكل العقيدة و الدين عن طريق توظيف علم الكلام على غرار المعتزلة والأشاعرة، لكن كان عمله كمن يعلق تفاحا مقطوفا في شجر غير يافع أصلا"[3]"إذا لقينا نظرة على الأفكار التي لا زالت باعتبارها أصبحت ميتة، تكون الجانب السلبي في نهضتنا، قد كانت تكون الجانب الإيجابي في عهد التقهقر والأفول الذي مر على الحضارة الإسلامية، هذه الأفكار إذن كانت قتالة في مجتمع حي، قبل أن تصبح ميتة في مجتمع يريد الحياة. غير أنها بكل تأكيد لم تولد بباريس أو لندن، بل ولدت بفاس والجزائر وتونس والقاهرة، لم تنشأ في مدرجات أكسفورد والسربون، ولكنها نشأت تحت قباب جوامع العالم الإسلامي و في ظل صوامعه"[4] ولكن يشتد الألم حسرة عندما نحاول أن نحيي العالم الإسلامي الذي غلبت عليه هذه الأفكار الميتة بأفكار مميتة قاتلة مقتبسة من حضارة أخرى مطبوعة من مجتمع طبيعته مختلفة. يقول مالك بن نبي" أما ما هو

---

[1] Malek bennabi: le problème des idées, el la yimat, alger (el), 1990 (أنظر، عبد القادر بوعرفة، الحضارة ومكر التاريخ ، ص109)

[2] نفس المرجع، مالك بن نبي، تبسيط مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي، ص32

[3] مرجع سابق، عبد القادر بوعرفة، الحضارة ومكر التاريخ، ص60

[4] مصدر سابق، مالك بن نبي، في مهب المعركة، ص.130

غير طبيعي في المجتمع الإسلامي المعاصر، فهو جموده و خموله في هذه المرحلة، كما لو كان يريد الخلود وهو على هذه الحالة، بينما مجتمعات أخرى مثل اليابان والصين بدأت منذ النقطة وتخلصت من ركودها، وفرضت على نفسها ظروف ديناميكية جديدة، و نظرية جدلية عن التاريخ".[1]فاستوراد أفكار ناجحة من الغرب لا يؤدي حتما إلى نجاحها عندنا. فعقلية الفرد الياباني تختلف على الفرد الأوربي والأمريكي فهو يأخذ أفكار الغير لكن تكون هذه الأفكار أصلية وليست قشور وفضلات، أو نسخ نسق من دون مراعاة طبيعة كل مجتمع ،فإذا أراد المجتمع الإسلامي النهضة فيجب عليه الرجوع إلى الثقافة الإسلامية الأصلية أو الأصيلة و ليست مستوردة من أفكار كارل ماركس أو آدم سميث ...الخ . يقول مالك بن نبي " إن كل مجتمع يصنع بنفسه الأفكار التي ستقتله ، لكنها تبقى بعد ذلك في تراثه الاجتماعي. " أفكار ميتة " تمثل خطرا أشد عليه من خطر " الأفكار القاتلة "، إذ أن الأفكار تظل منسجمة مع عادته، و تفعل مفعولها في كيانه من الداخل، إنها تكون الجراثيم الموروثة الفتاكة التي تفتك بالكيان الإسلامي من الداخل وهي تستطيع ذلك لأنها تخدع قوة الدفاع الذاتي فيه"[2] " إن العالم الإسلامي لابد أن يعيد النظر في عالم أفكاره من جديد بمنظور علمي موضوعي، و لنا تجربة في محاولات زكي نجيب محمود ، خاصة مؤلفه (المعقول واللامعقول)."[3]

إذن مشكلة الأفكار هي مشكلة كبيرة جدا في عالمنا الإسلامي ذلك لما يحصل من لبس وخلط و فقر كبير يعيق نهضتنا، وما ينقص الإنسان المسلم في مدى فعالية هذه الأفكار، أي تفعيل الأفكار وإخراجها من حيز الإمكان إلى حيز الفعل الحقيقي والعلمي والواقعي. فأكثر الأمراض التي ابتلى بها الإنسان خلال الأزمة الحضارية هي إهتمامه بالجانب النظري والأفكار المجردة ، لا الجانب التطبيقي و العلمي للرسالة الإسلامية.

---

[1] نفس المرجع، مالك بن نبي، تبسيط مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي، ص33.

[2] مصدر سابق، مالك بن نبي، في مهب المعركة ، ص130.

[3] مرجع سابق، عبد القادر بوعرفة، الحضارة ومكر التاريخ، ص61.

4-القابلية للاستعمار:

" يرى ابن نبي أن الاستعمار ليس من عبث السياسيين ولا من أفعالهم، بل هو من النفس ذاتها التي تقبل ذل الاستعمار، والتي تمكن له في أرضها، ولا ينجو شعب من الاستعمار واجناده إلاّ إذا نجت نفسه من أن تتسع لذل مستعمر، وتخلصت من تلك الروح التي تؤهلها للاستعمار"[1] فمالك بن نبي استشرف وأدرك هذا الخطر منذ زمن بعيد حيث يرى بأن الخطر الحقيقي ليس في الاستعمار، فالإنسان المسلم في العصر الحديث لم يكن ليستعمر، أو ليستعبد، لو لم يكن لديه استعداد لهذا الاستعمار، لأن الشعوب العربية الإسلامية فقدت الكثير من الدوافع التي رفعت من شأنها خلال القرون الماضية، وبرزت مكانها جملة ظروف تاريخية واجتماعية ونفسية وفكرية، تسهل للمستعمر السيطرة عليها وعلى مقدراتها ، والسبب راجع لإبعاده عن جوهر العقيدة أو روح الرسالة الإسلامية،"وهنا يركز مالك على هذا المصطلح، لأن كثيرا من المسلمين يحاولون تغليف تخلفهم وضعفهم وقلة حيلتهم على الاستعمار، فأراد أن يرجع المشكلة إلى أصولها المغيبة عن الذهن، ويردها إلى سببها الأول وهو القابلية للاستعمار، أي إلى الخسائر التي ألحقناها بأنفسنا قبل أن نتحدث عن الخسائر التي الحقها بنا الآخرون، مطابقة لقوله تعالى عن هزيمة المسلمين في غزوة أحد**﴿ قُلْ هُوَمِنْ عِند أَنفُسِكُمْ﴾** ".[2]

"ولقد عرف التاريخ الإسلامي لحظة كهذه في صفين، تلك الحادثة المؤسفة المؤثرة، التي نتج عنها التذبذب في الاختيار الحتم بين علي ومعاوية، بين المدينة ودمشق، بين الحكم الديمقراطي الخليفي، والحكم الأسري، ولقد اختار المجتمع الإسلامي في هذه النقطة الفاصلة في تاريخه، الطريق الذي قاده أخيرا إلى القابلية للاستعمار والاستعمار".[3]

---

[1] مصدر سابق، مالك بن نبي، شروط النهضة، ص31.

[2] محمد العبدة، مالك بن نبي، مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي،دار القلم،دمشق،ط1 ،2006،ص81.

[3] بن نبي مالك، الفكر الآخر وآسوية، ترجمة عبد الصابور شاهين، دار الفكر، الجزائر، ط3، 1992، ص110.

"إذن بداية المشكل تزامنت مع 'إنسان صفين ' الذي حدث له تذبذب نفسي وخلل في التوازن، جعله يختار الطريق المغلق، ومعه بدأ التراكم الهدمي في الذات العربية والإسلامية ، لعل عقيل بن أبي طالب جسد في شخصه بداية المشكل، إذ كان يصلي خلف أخيه علي وينادم معاوية خصم أخيه، لقد أثار سلوكه الدهشة والغرابة لكن جوابه كان:'صلاتي مع علي أقوم لديني، وطعامي مع معاوية أقوم لبدني'، إنها مقولته تعكس بداية الانحراف والنفاق مع الذات. لقد بدأت مشكلة الإنسان في المجتمع الإسلامي تتسع دائرتها ، فكلما أوغل الزمن في التقدم كلما ازداد "الإنسان الشاهد" قابلية الاستعمار، وبدأ عقله يفقد إشعاعه الحضاري، وضميره، ينام على الواجب الإستخلافي".[1]

فمالك بن نبي يؤكد أن العلة المزدوجة " فكلما شعرنا بداء المعامل الاستعماري الذي يعترينا من الخارج، فإنّنا نرى في الوقت نفسه عاملا باطنيا، يستجيب للمعامل الخارجي ويحطّ من كرامتنا بأيدينا. وخلص في آخر المطاف إلى أن المخرج الوحيد للتحرر من الاستعمار هو التحرر من باعثه وهو القابلية للاستعمار، فهو العلة الأصلية لعامل الاستعمار."[2]

نستخلص في الأخير أن مالك بن نبي يرى بأن الشعوب الإسلامية شعوب قابلة للاستعمار، فهي شعوب لازالت تحت الاستعمار، ونحن نشهد هذا في وقتنا الراهن، فكثير من الشعوب العربية في الشّكل مستقلة لكنها ليست دول ذات سيادة (فاقدة للسيادة)، لأن قرارها السيادي مرتهن بالكامل لدول خارجية فهي من هذا الجانب مستعمرة.

[1] مرجع سابق، عبد القادر بوعرفة، الحضارة ومكر التاريخ، ص52.

[2] مرجع سابق، بودقزام عمران، التجديد في المشروع الحضاري ، ص219 – 220.

5_ الأمراض الفكرية والنفسيةللإنسان المسلم المعاصر:

أ- العامل الفكري:

أصبح الإنسان المسلم مأزوم على الصعيدين الفكري والنفسي،أصبح يعيش على أمجاد الماضي يستحضر عاطفيا أحداث وشخصيات تاريخية، ليغطي بها عجزه، فالعقل الإسلامي بعد عصر الموحدين حسب مالك بن نبي هو عقل مجزء عقل مشتت وسطحي غير قادر على الإبداع ، عاجز عن صنع الحضارة والتاريخ ، وفي هذا الصدد نجد مالك بن نبي يقول" لقد ظل العالم الإسلامي خارج التاريخ دهرا طويلاً كأن لم يكن له هدف، استسلم المريض للمرض وفقد شعوره بالألم حتى كأنه يؤلف جزءًا من كيانه. وقبيل ميلاد هذا القرن سمع من يذكرّه بمرضه، ومن يحدث عن العناية الإلهية التي استقرت على وسادته، فلم يلبث أن خرج من سباته العميق ولديه الشعور بالألم".[1]

فالإنسان المسلم عانى من مؤثرات التقهقر التي شاهدها في مجتمعه الإسلامي، منذ قرون، فهو الإنسان الذي خرج من الحضارة، وكابد مؤثرات هذا التقهقر." ومن الممكن أن نفحص الآن سجلات هذه الحقبة، ففيها كثير من الوثائق والدراسات، ومقالات الصحف، والمؤثرات التي تتصف بموضوع النهضة. هذه السجلات تعالج الاستعمار والجهل هنا، والفقر والبؤس هناك، وانعدام التنظيم، واختلالالاقتصاد والسياسة في مناسبة أخرى ولكن ليس فيها تحليل منهجي للمرض، أعني دراسة مرضية للمجتمع الإسلامي، بحيث لا تدع مجالاً للظن حول المرض الذي يتألم منه منذ قرون".[2] " وهكذا يبدو أن المسلم ليس سلبيا فقط بل بما اعتراه من خلل في الغريزة الاجتماعية والناتج من ملابسات تاريخيه وعن التمسك الأعمى بالشكليات التي خلفتها له قرون الانحطاط، يبدو أحيانا وكأنه يبحث قصدا عن طريق السلبية، وأن انحطاط القيمة يبدو في صور طبيعية في جميع الميادين التي يتجلى فيها عطل

[1] مصدر سابق، مالك بن نبي شروط النهضة ، ص40.

[2] نفس المصدر، شروط النهضة ،ص40.

القادة والصفوة في المجتمع الإسلامي".[1]وهنا نجد المجتمع الإسلامي قد دخل في صيدلية الحضارة الغربية طالبا الشفاء من المرض الذي أصابه." ففي الوثائق نجد أن كل مصلح قد الوضع الراهن تبعا لرأيه أو مزاجه أو مهنته. فرأي رجل سياسي كجمال الدين الأفغاني: أن المشكلة سياسية تحل بوسائل سياسية، بينما قد رأى رجل دين كالشيخ محمد عبده أن المشكلة لا تحل إلاّ بإصلاح العقيدة والوعظ ...الخ ...على حين أن كل هذا لا يتنازل في الحقيقة المرض، بل يتحدث عن أعراضه"[2]،يرى مالك بن نبي أنهم لا يعالجون المرض إنما أعراضه فالمسلم مريض يعاني من أعراض الاستعمار، من الأمية،ومن الكساح العقلي...إذ يقول" ليس هناك في الواقع سوى طريقتين لوضع نهاية لهذه الحالة المرضية فإما القضاء على المرض، وإما إعدام المريض".[3]

إذن المريض الذي أصاب الإنسان المسلم كانت نتيجة لعدّة عوامل نفسية وفكرية.

ب- العامل النفسي(الوهن):

" ومن بين أهم معالم المرض النفسي عند بن نبي ، ظهور ذهان السهولة والاستحالة والنزعة التبريرية، مع الفخر والمديح، والغوص في الماضوية أو الانسلاخ والجري وراء العصروية ...الخ أما القابلية للاستعمار تتجلى بوضوح في مظاهر حياتنا اليومية بدءًا من أصغرها، ويضرب مالك بن نبي مثالين عن استفحال المرضي النفسي، فلدينا الطالب المسلم المجتهد والسائح المسلم".[4] " فالطالب ينغمس في الجانب التجريدي من الحضارة الغربية، الذي يمثل <مقبرة الحضارة>. أما السائح المسلم فيهتم بالجوانب التافهة من الحضارة، والتي سماها<مزبلة الحضارة>. والمسألة لا تحتاج إلى تحليل موسع، بقدر ماتحتاج إلى معاشرة

[1]مرجع سابق، سليمان الخطيب، فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي، ص168.

[2]مصدر سابق، شروط النهضة، ص41.

[3] نفس المصدر، ص41.

[4]مرجع سابق، عبد القادر بوعرفة، ص57.

قصيرة المدى، فالسائح يعود و في ذهنه عالقة صور المنتجات وأشياء أخرى لا تنفع على الإطلاق"[1] فأصبح الفرد المسلم يفتقر لعالم الأشياء، هذا ما أدى به إلى التخلف والانحطاط الحضاري." والمسلم بسبب عقدة تخلفه يرد هذه المسافة إلى نطاق الأشياء، أو هي تعبير آخر تخلفه متمثل في نقص ما لديه فاعليته الاجتماعية إذ ينتهي من الوجهة النفسية إلى التشاؤم كما ينتهي من الوجهة الاجتماعية إلى ما أطلقنا عليه التكديس".[2]

ج- اللافعالية: (غياب الفعالية)

تمتد من سقوط دولة الموحدين إلى يومنا هذا، في هذه المرحلة ينصرف المجتمع إلى حياة الترف فيكون بمثابة إعلان عن سقوط الحضارة، وقد سبق العلامة إبن خلدون أن نبه إلى هذا، رابطا المفاسد التي تنتشر في المجتمع بانتهاء العمران فيقول " من مفاسد الحضارة الانهماك في الشهوات والاسترسال فيها من كثرة الترف".[3]

فالفعالية تبدأ بالزوال عندما يغيب التوازن بين الروح والعقل، ويضعف الإيمان بين الأفراد، وتتجمد الفكرة الدينية وتتحول إلى مجرد طقوس، ويفقد الإنسان امتدادها الاجتماعي، فيصبح الإنسان والتراب والوقت عبارة عن عناصر خامدة، فتسقط الحضارة، وهذا ما يؤكد عليه مالك بن نبي. إذ يقول" إن الذي ينقص المسلم ليس منطق الفكرة ، ولكن منطق العمل والحركة ، فهو لا يفكر ليعمل ، بل ليقول كلاما مجردا بل أكثر من ذلك ، فهو أحيانا يبغض أولئك الذين يفكرون تفكيرا مؤثرا، ويقولون كلاما منطقيا من شأنه أن يتحول في الحال إلى عمل ونشاط"[4] فنحن في حياتنا اليومية نرى جانبا كبيرا من (اللافعالية) إذ يقول " في أعمالنا إذ يذهب جزء كبير منها في العبث ، والمحاولات الهازلة .إذ ما أردنا حصرا لهذه القضية فإننا نرى سببها الأصيل في افتقادنا الضابط الذي يربط بين عمل وهدفه، بين سياسة

---

[1] نفس المرجع، عبد القادر بوعرفة، ص57.

[2] بن نبي مالك، مشكلة الثقافة ، دار الفكر، دمشق، ط4، 1991 ، ص15.

[3] مالك بن نبي، وجهة العالم السلامي، ترجمة عبد القادر الصابور شاهين، دار الفكر، الجزائر، 1986 ، ص33.

[4] مصدر سابق،مالك بن نبي، شروط النهضة، ص96.

ووسائلها، وثقافتنا لا تعرف مثلها العليا، وإن ذلك كله ليتكرر في كل عمل نعمله وفي كل خطوة نخطوها".[1]

والسبب الأصلي لافتقاد المسلمين للفعالية، عدم وجود الضابط الذي يربط بين الأشياء ووسائلها،وبين الأشياء وأهدافها، فسياسة المجتمع تجهل وسائلها، وثقافته لا تعرف مثلها العليا، وفكرة المجتمع لا تعرف التحقيق، وذلك يتكرر في كل عمل يعمله وفي كل خطوة يخطوه".[2]

فمالك بن نبي يرى أن " التاريخ يبدأ بالإنسان المتكامل الذي يطابق دائما بين جهده وبين مثله الأعلى وحاجاته الأساسية وينتهي التاريخ بالإنسان المتحلل بالفرد الذي يعيش في مجتمع منحل لم يعد يقدم لوجوده أساسا روحيا أو ماديا فليس أمامه إلاّ أن يفر إلى صوامع المرابطين أو إلى مستقر آخر وهذا الفرار صورة فردية للتمزق الاجتماعي"[3]، يشخص مالك بن نبي هذه المرحلة بالمرحلة المرضية التي لازلنا نعيش رواسبها، كالبكاء على الأطلال، فيتولد لدى الفرد المسلم رغبة في اكتشاف الداء ومحاولة النهضة ، فالإنسان المسلم حسب رأي مالك بن نبي لم يتخلى عن عقيدته بل عقيدته هذه تجردت من فعاليتها لأنها فقدت دورها ووظيفتهاالاجتماعية.

"ولقد يقال: أن المجتمع الإسلامي يعيش طبقا لمبادئ القرآن، ومع ذلك فمن الأصوب أن نقول: إنه يتكلم تبعا لمبادئ القرآن لعدم وجود المنطق العملي في سلوكه الإسلامي ... الم نقل:إن الذي ينقس المسلم ليس منطق الفكرة ولكن منطق العمل والحركة، وهو لايفكر ليعمل بل ليقول كلاما مجردا".[4]

---

[1]نفس المرجع، شروط النهضة، ص96.

[2]مرجع سابق، بودقزام عمران، ص222.

[3]صفاصن سعيدة ، الفكرة الدينية عند مالك بن نبي وروادها في خلق الفعالية الحضارية، جامعة الجلفة، ص211.

[4]مصدر سابق، مالك بن نبي، مشكلة الثقافة ، ص87.

الفصل الثاني:الإسلام والتجديد الحضاري في فكر مالك بن نبي

تمهيد

المبحث الأول:

الفكرة الدينية ودورها في بناء الإنسان المعاصر

المبحث الثاني:

قراءات في مشروع مالك بن نبي

تمهيد:

تعتبر الفكرة الدينية عند مالك بن نبي هي أساس كل مشروع حضاري، فالدين قادر على إحداث هذا التغيير، وذلك لاستشهاده بالآية القرآنية { إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" ، وهو أساس تفاعل عناصر الحضارة ، والإنسان بطبعه ميال إلى الدين والتدين، والظاهرة الدينية تصبح بالصيرورة التاريخية ظاهرة اجتماعية، لأن العلاقات الروحية بين الإنسان وخالقه هي التي توجد العلاقات الاجتماعية، ويستند مالك بن نبي في تصوره هذا على واقع المجتمع الإسلامي، فعند ظهور الدين الإسلامي أدى إلى تغير في البناء الثقافي، فالإسلام غني بتغير الأفكار، وعقائد الجاهلية التي كانت سائدة في المجتمع العربي وعمل على تجديد منهج الحياة السليمة الصالحة الكريمة، لذلك يرى مالك بن نبي أن المشكلة الحضارية التي يمر بها العالم الإسلامي تستلزم حلها بالعودة إلى الدين كمرجعية لإعادة استئناف دورته الحضارية ، بما أنه القانون الكلي الذي يحكم التاريخ، فتصبح الثقافة هي منهجه التغيري والتغير يبدأ بالإنسان أي من النفس ، وذلك من خلال قوله" غير نفسك تغير التاريخ " فالإنسان كالفرد يكوّن المجتمع مع بني نوعه ويؤثر في المحيط الذي يعيش فيه كما يتأثر به، لأنه هو الهدف ونقطة البدء في التغيير والبناء، وعلى هذا الفرد أن يقدم الواجب يطالب بالحقوق، فإذا أردت أن تصلح أمر الدولة أصلح نفسك.

المبحث الأول: الفكرة الدينية ودورها في بناء الانسان المعاصر.

1-دور الإسلام في بناء الحضارة:

لم ينطلق مالك بن نبي من " فراغ على قضية التأكيد على الدور الرئيسي للدين، ودخول الدين في الجدلية النفسية والاجتماعية في ذات الفرد، والوسط الاجتماعي، وقد كان لكل من إبن خلدون، شنبجلر، وتوينبي، وسوروكين، تأثير على تفكير مالك بن نبي في تفسيره للتغيير الاجتماعي والحضاري، وقد انطلقوا في تحليلاتهم من مختلف الثقافات الحضارية ، وبخاصة الحضارة الغربية مثل حضارة اليونان، والرومان والثقافة الغربية، وبنوا تحليلاتهم على حتمية التغيير في المجتمع ، فالتغيير سنة في الحياة . فكيف تجسد التنظيم الاجتماعي في فكر مالك بن نبي؟ يفرق مالك بن نبي بين نوعين من المجتمع، مجتمع ماقبل الحضارة، ومجتمع الحضارة، الأول مجتمع بدائي لا يمارس وظيفته التاريخية، والثاني يعرف التغير المستمر من أجل الدخول في نطاق الحضارة ، انطلق مالك بن نبي في مشروعه الحضاري ، من فرضية الدين ضرورة اجتماعية مهمة في بناء شبكة اجتماعية وفي صناعة الحضارة ، ويرى مالك أن الحضارة بصفتها هدفا لأي تغيير اجتماعي تعتمد على الدين بوصفه عاملاً أساسيا في تركيبها وإقامتها، ولهذا فإنه يخّطئ المذاهب المادية التي تجعل الدين عارضا في تاريخ الثقافة الإنسانية الوظيفة الاجتماعية للدين تتحقق في شكل تركيب يهدف إلى تشكيل قيم تمر إلى النفس الإنسانية، لهذا التغيير الاجتماعي بالضرورة من صنع الأشخاص، والأفكار والأشياء جميعا، ويرى مالك بن نبي أن الطريق لمعرفة الأساس القوي للتغير الاجتماعي يجب أن يكون باستقراء الوقائع التاريخية الماضية، والذي يدلنا على أن الفكرة الدينية كانت هي الأساس والمحرك الفاعل لأي حركة تغييرية اجتماعية وحضارية"[1]

[1] غازي الشمري، جعفر ياشوش، مالك بن نبي بين التمثل والابداع، دار نينوى، ط1، 2017، ص85.

إن التراث العربي الإسلامي وجذوره الأولى بالخصوص القرآن الكريم يعد الباعث الروحي الذي يمثل الأساس الأول في تكوين مالك بن نبي ، فالدين عنده في ضوء القرآن الكريم ظاهرة كونية تحكم فكر الإنسان وحضارته، باعتباره قانونا خاصا في الفكر ، فالفكرة الدينية إذن هي كل ما ينقل فكر الإنسان وتطلعاته إلى عالم القيم وسمو النفس.

فأفكار بن نبي لا تنطلق" لتضيف في المجتمع الإسلامي معرفة جديدة بالعفة، أو علما مستخلصا من تجارب الحضارة الحديثة، بل لتنظيم هذه المعارف في مفاهيم تربوية تسير بالإنسان خطوة متقدمة يطرح الإسلام كملهم لقيمنا ، وقادر على استعادة دور الإنسان مبرأ من ثقل الحضارة الإمبراطورية، وهو يرى أن الإسلام لا يقدم إلى العالم ككتاب، وإنما كواقع اجتماعي يسهم بشخصيته في بناء مصير الإنسانية".[1]

كما "تجدر الإشارة إلى أن "إبن نبي" يرى النواة الأولى لإحداث وثبة الانطلاق الحضاري تكون أساسا فكرة ذات طابع ديني ممّا يعني أنّ العلاقة قائمة ومتينة بين كل مشروع حضاري مبني على فلسفة بناء ناجحة، لذلك فالفكرة الدينية هي مرحلة لتجاوز العتبة وتحريك المفاعل ، ووضعه في مساره الصحيح بحيث يصبح الفرد، المشروع على الاستعداد للبناء بعد أن أوجد ديناميكية التفاعل الاجتماعي بينه وبين الطرف الآخر، وهكذا، وكثيرا ما استشهد مفكرنا بالحضارة الإسلامية التي كان نواتها ظهور الدعوة المحمدية التي فكت القيود الفكرية، والعقبات التي تجهض المبادرة، والاقتدار، بل وتكبل حتى الرغبة في التجاوز، وتغيير الأنا فما بالنا إذا كان المشروع مشروع حضارة ؟".[2]

فالدين إذن يعتبر عامل مهم وفاعل في بعث أي أسلوب أو نمط بناء هدفه الانتشار،والفاعلية وتحرير الفرد من التبعية التي طرأت له، والإقلاع لا يكون إلاّ بالرجوع إلى روح العقيدة ومحاولة فهمها الفهم الصحيح، " إن الإسلام قوة تماسك ووحدة في نظر "إبن نبي" وهو الدين الوحيد الذي يملك القدرة على تفعيل هذه الخاصية الروحية وتمتينها، وتجسيدها ، فقد نجح

[1] بشيرضيف الله، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، منشورات المجلس، الجزائر،2005،ص127.

[2] مرجع سابق ،،بشير ضيف الله، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، منشورات المجلس، الجزائر، 2005 ، ص50.

في جمع بين الأعداء ، والسادة والعبيد في زمن لم يكن يخطر على بال، تحقيق هذا الحلم، لينطلق بعد ذلك هذا الزخم المتداخل في بناء حضارة لم يعرف لها العالم حدود".[1]

فلقد أثبتت الرسالة المحمدية أن مشروعها هو الإنسان المسلم الحر، فغرست فيه شعور المبادرة، وروح الإبداع والمساواة بين الأفراد أمام الله، وعدم التفرقة بينهم فبهذا يتولد عنصر التكافل والتفاعل ثم النهوض بين الأفراد،" فالإنسان المسلم عملي بطبعه، فعّال بعقيدته، مقدام بتركيبته ينبري لتحقيق ما رسم من أهداف مشروعه مع الإدراك التام لإنسانيته كإنسان يمثل محور الوجود في رحاب دين ذي رسالة عالمية لا تعرف الحدود فهو لا متناه، مشرئب دائما إلى تخليص الإنسانية من براثن فلسفات أثبت التاريخ ضحالتها، ومحدوديتها".[2]

" فالمسلم دوره في الدعوة والتبليغ، ودوره في نشر الحضارة والمثل، وكلما ازدادت أساليب الحصار من قوى المادة، والقوة، وضاق الخناق، يجب أن يخرج من أعماق ذلك عزم قوي على العطاء من أجل توسيع دائرة الانتصار، وهذا الفعل هو صنيع الشخص المتزن المتوازن الذي يحسن تحويل المثل، والقيم إلى سلوك معيش يطبقه على نفسه، ويكون القدوة، والطليعة التي تتقدم الصفوف حتى يسهم في صنع رصيد التاريخ".[3]

بمعنى أن الإنسان المسلم هو المبشر بالحضارة والداعي إليها، فالإسلام يدعو إلى السعي، والعمل لتحسين أوضاع الفرد، وذلك وفق توظيف قدراته الفكرية واستعمال ذكاءه، وتفوقه بإرادة منه وتجاوز الحاجز النفسي الذي كان سببا في تقييده ، وجعله رهين خرافات، فجاء الإسلام مبشراً به ليخلصه من براثن التعصب، والجهل، والكسل والوهن الذي أصابه والقابلية للاستعمار .

---

[1] نفس المرجع، ص60.

[2] نفس المرجع، ص55.

[3] مصدر سابق،مالك بن نبي، وجهة العالم الاسلامي، ص32.

"هكذا فهم "مالك بن نبي" الإسلام منقذا، والمسلم ممثلاً، وشاهداً والطريق تحديث منهج التفسير ، واللحاق بركب العلم فالإصلاح عنده بالعودة إلى مناخات يوفرها الإسلام كما كان الحال أيام السّلف الصالح".[1]

إذن الدين بالنسبة لمالك بن نبي يلعب دور كبير في حركة الحضارة وبناءها وتطورها، إذ اعتبره السر الذي يركب بين العناصر الثلاثة .(الإنسان والتراب والوقت) ، وجعلها قوة فاعلة في التاريخ ، حيث تعتبر الفكرة الدينية أساس كل مشروع تغييري .

فالمشكلة الحضارية التي يمر بها العالم الإسلامي ، يستلزم حلها إلاّ بالعودة إلى جوهر العقيدة الصحيحة، وهذا يتطلب منه فصل رواسب الماضي السيئة والتعلم من التاريخ من التجارب ومن السقطات الماضية والتوجيه بحسب مقتضيات المستقبل المرغوب فيه مع الحفاظ على الهوية الإسلامية وعلى الروح الإسلامية، والتغيير يكون من أنفسنا إذ يقول " غير نفسك تغير التاريخ".[2]

[1] أسعد السحمراني، مالك بن نبي مفكرا اصلاحيا، دار النفائس،د.ط، 1986 ، ص107.

[2] مصدر سابق، مالك بن نبي، شروط النهضة، ص32.

2-التوجيه الثقافي والأخلاقي للإنسان المسلم

أ- توجيه الثقافة:

يرى مالك بن نبي أن "الثقافة هي المحيط الذي يعكس حضارة معينة، ويتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر ..."[1] ، ف" الثقافة ليست علما خاصا لطبقة من الشعب دون أخرى، بل هي دستور تتطلبه الحياة العامة ، بجميع ما فيها من ضروب التفكير والتنوع الاجتماعي، وعلى الأخص، إذا كانت الثقافة هي الجسر الذي يعبره البعض إلى الرقي والتمدن، فإنها أيضا ذلك الحاجز الذي يحفظ البعض الآخر من السقوط من أعلى الجسر إلى الهاوية".[2]

فالثقافة إذن هي ذلك الكم المتراكب من الصفات، والقيم ، والخصائص المكتسبة طيلة مرحلة زمنية تقاس بحياة الفرد المتواجد داخل محيط أو نسيج إجتماعي، يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته، وبصورة أوضح يقول، "وإذا ما أردنا إيضاحا أشمل لوظيفة الثقافة فلنمثل لها بوظيفة الدم، فهو يتركب من الكريات الحمراء والبيضاء ، وكلاهما يسبح في سائل واحد من "البلازما"، ليغذي الجسد، والثقافة هي ذلك الدم في جسم المجتمع، يغذي حضارته، ويحمل أفكاره "الصفوة" كما يحمل أفكار "العامة"، وكل من هذه الأفكار منسجم في سائل واحد من الاستعدادات المتشابهة، والاتجاهات الموحدة، والأذواق المتناسبة".[3]

ب- توجيه الأخلاق:

يركز مالك بن نبي على العنصر الأخلاقي في بعده الاجتماعي، وهو أساس قوة التماسك بين الأفراد في مجتمع يريد تكوين وحدة تاريخية، يقول " لسنا نهتم هنا بالأخلاق من الزاوية الفلسفية بل من الناحية الاجتماعية ، وليس الأمر هنا أن نشرح مبادئ خلقية، بل أن نحقق (قوة التماسك) الضرورية للأفراد في مجتمع يريد تكوين وحدة تاريخية، هذه القوة مرتبطة في أصلها بغريزة (الحياة الاجتماعية) عند الفرد، ارتباطا يتيح له تكوين القبيلة

---

[1] مصدر سابق، مالك بن نبي، شروط النهضة، ص83.

[2] مصدر سابق ،مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص77.

[3] نفـــس المصـــدر، ص78.

والعشيرة والمدينة والأمة، والقبائل الموغلة في البداوة تستخدم الغريزة نفسها ، ولكنه يهديها ويوظفها بروح خلقي سام، هذا الروح الخلقي منحة من السماء إلى الأرض، يأتيها مع نزول الأديان عنما تولد الحضارات، ومهمته في المجتمع ربط الأفراد بعضهم ببعض، كما يشير إلى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: { **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ** بَيْنَهُمْ **إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** } (الأنفال 8|63)".[1]

" وتعدّ هذه الروح الخلقية عنده بمثابة منحة من السماء إلى الأرض ، تأتيها مع نزول الأديان عندما تولد الحضارات، فالمبدأ الأخلاقي يستند إلى الدين، ويستمد منه الدوافع والغايات التي تحدد للمجتمع التاريخي وجهته، ولهذا كان المبدأ الأخلاقي عنصرا رئيسيا في معادلة البناء الثقافي للمجتمع، لأنّ شبكة الصلات الثقافية في محصلتها هي تعبير عن العلاقات الشخصية في مستوى ما، فسلامة هذه الشبكة متوقفة على فاعلية المبدأ الأخلاقي في المحيط الاجتماعي".[2]

3-التوجيه الجمالي والعملي للإنسان المسلم:

أ- التوجيه الجمالي:

" للبعد الجمالي أهمية مركزية في بناء الإنسان بخاصة، وبناء المجتمع عامة، ويعدّ هذا البعد في نظره بمثابة المصدر الذي تنبع منه الأفكار، وتصدر عنه بواسطة تلك الأفكار أعمال الفرد في المجتمع"[3] ، ويعرفه بقوله " لا يمكن لصورة قبيحة أن توحي بالخيال الجميل أو بالأفكار الكبيرة ، فإن لمنظرها القبيح في النفس خيالاً أقبح ، والمجتمع الذي ينطوي على صورة قبيحة، لا بد أن يظهر أثر هذه الصور في أفكاره وأعماله ومساعيه".[4]

---

[1] نفس المصدر ، ص79.

[2] مرجع سابق، بودقزام عمران، التجديد في المشروع الحضاري عند مالك بن نبي، ص248.

[3] نفس المصدر، مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص81.

[4] نفس المرجع، بودقزام عمـــران، ص249.

" ويمكن سرّ تأثير الأفكار سلبا وإيجابا بالبعد الجمالي ، في كون هذه الأفكار بصفتها روح الأعمال التي تعبر عنها أو تسير بموجبها، إنّما تتولد من الصور المحسة الموجودة في الإطار الاجتماعي، والتي تنعكس في نفس من يعيش فيه ، وهنا تصبح صوراً معنوية يصدر عنها تفكيره"[1]،" فالجمال الموجود في الإطار الذي يشتمل على الألوان وأصوات وروائح وحركات وأشكال، يوحي للإنسان بأفكاره ويطبعها بطابعه الخاص من الذوق الجميل أو السماجة المستهجنة، فبالذوق الجميل الذي ينطبع فيه فكر الفرد، يجد في نفسه نزوعا إلى الإحسان في العمل وتوخياً للكريم من العادات، ولاشك أن للجمال أهمية اجتماعية كبيرة، إذا ما عددناه المنبع تصدر عنه الأفكار، وتصدر عنه بواسطة تلك الأفكار أعمال الفرد في المجتمع".[2]

ومن خلال هذا يتضح أن مصدر صناعة الذوق الجمالي في تفكير الإنسان هو الصور الجمالية المحيطة به، وذلك من خلال انطباعه في فكر الفرد ووجدانه.

يقول مالك بن نبي" والإطار الحضاري بكل محتوياته متصل بذوق الجمال هو الإطار الذي تتكون فيه أية حضارة، فينبغي أن نلاحظ في أنفسنا ، كما ينبغي أن نتمثل في شوارعنا وبيوتنا ومقاهينا، مسحة الجمال التي يرسمها مخرج رواية في منظر سينمائي أو مسرحي. يجب أن يثيرنا أقل نشاز في الأصوات وفي الروائح وفي الألوان، كما يثيرنا أقل نشاز في الأصوات وفي الروائح وفي الألوان، كما يثيرنا منظر مسرحي سيء الأداء ، إن الجمال هو وجه الوطن في العالم، فلنحفظ كرامتنا، ونفرض احترامنا على جيراننا الذين ندين لهم بالاحترام نفسه".[3]

[1] نفس المرجع ، ص248.

[2] نفس المصدر، ص82.

[3] نفس المصدر، ص85.

وحاصل القول الجمال ، برأي مالك بن نبي هو الإطار الذي تتكون فيه أية حضارة ، ونظراً لأهميته فهو يشدد على ضرورة توظيفه في كل مناحي الحياة ، فالذوق الجمالي صناعة تكمن في تفكير الإنسان فمثلاً لايمكن تصور الخير منفصلاً عن الجمال .

ب- المنطق العملي:

عرفه بقوله" نعني به كيفية ارتباط العمل بوسائل ومقاصده وذلك حتى لا نستسهل أو نستصعب شيئا دون مقياس ، ويستمد معاييره من الوسط الاجتماعي وما يشمل من إمكانيات، وليس من الصعب على الفرد المسلم أن يصوغ مقياسا نظريا يستخرج به نتائج من مقدمات محددة ، غير أنه من النادر جداً أن يعرف المنطق العملي، أي استخراج أقصى ما يمكن من الفائدة من وسائل معينة .ونظرة إلى ما حولنا تكفينا لكي نلاحظ أن ظروف نشاطنا غالبا ما تتسم بالشلل وانعدام الفعالية في الجانب الخاص أو العام".[1]

" ويعتبر مالك بن نبي أنّ العجز الذي يعاني منه الإنسان ما بعد الموحدين ، لا يرتبط بالعقل النظري ، بقدر ما يرتبط بالعقل التطبيقي، الذي يتكوّن في جوهره من الإرادة والانتباه، ونتيجة لهذا العجز نجد في حياتنا جانبا كبيراً من اللافاعلية".[2]

يتضح من خلال هذا أن المنطق العملي له ارتباط وثيق بفعالية الإنسان في محيطه، " فهذه أمثلة على انعدام المنطق العملي في جوانب مختلفة من حياتنا، ونحن أحوج ما نكون إلى هذا المنطق لأن العقل المجرد متوفر في بلادنا ، غير أن العقل التطبيقي الذي يتكون في جوهره من الإرادة والانتباه شيء يكاد يكون معدوما".[3]

ولذا يستلزم وجود طردي بين المنطق العملي والمحيط الثقافي للإنسان ، ففاعلية الإنسان تحدّد من خلال وسط ثقافي . فإذا تمعنا في عمقنا الاجتماعي نجد أننا حالمون غارقون في الأوهام ، ينقصنا المنطق العملي.

---

[1] نفس المصدر، ص86.

[2] مرجع سابق، بودقزام عمران، التحديد في المشروع الحضاري عند مالك بن نبي، ص249.

[3] نفس المصدر، مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص86.

ج- التوجيه الفني أو الصناعة:

" ويندرج تحت هذا المسمى – برأيه – كل الفنون والمهن والقدرات وتطبيقات العلوم، ويدخل تحت هذا المسمى أيضا المهن التي تعد هيّنة بسيطة كالرعي".[1]

يقول مالك بن نبي" لا نعني بالصناعة ذلك المعنى الضيق المقصود من هذا اللفظ بصفة عامة في البلاد الإسلامية، فإن كل الفنون والمهن والقدرات وتطبيقات العلوم تدخل في مفهوم الصناعة، والراعي نفسه له صناعته، ومما يدلنا على القيمة الاجتماعية لهذه الحرفة المتواضعة الزهيدة، أن لها مدرسة أهلية في فرنسا بمدينة (رامبولية) إحدى ضواحي باريس، فلو رأينا الراعي الخريج في هذه المدرسة والراعي العربي يقود كل منهما قطيعه لعلمنا أي فرق بينهما؟ ومن المسلم به أن الصناعة للفرد وسيلة لكسب عيشه وربما لبناء مجده، ولكنها للمجتمع وسيلة للمحافظة على كيانه واستمرار نموه، وعليه فيجب أن نلاحظ في كل فن هذين الاعتبارين".[2]

وفي الأخير يتضح لدينا أن استمرار المجتمع ونموّه والمحافظة على كيانه مرهون باتصاله الفعلي بعالم الأشياء .

[1] نفس المرجع، بودقزام عمران، التجديد في المشروع الحضاري عند مالك بن نبي، ص250.

[2] نفس المصدر، مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص88.

4-توجيه العمل ورأس المال:

أ- توجيه العمل:

يرى مالك أن " العمل وحده هو الذي يخط مصيره الأشياء في الإطار الاجتماعي، ورغم أنه ليس عنصراً أساسا كالإنسان والزمن والتراب، إلاّ أنه يتولد من هذه العناصر الثلاثة، لا من الخطب الانتخابية أو العظيمة، فعندما كان المسلمون الأول يشيدون مسجدهم الأول بالمدينة، كان هذا أول ساحة للعمل صنعت فيها الحضارة الإسلامية".[1]

فهو يعتبر العمل " مخطط لمصير الأشياء في الإطار الاجتماعي، وهو يتولد من عملية التفاعل الإيجابي بين عناصر الحضارة المتمثلة في: الإنسان والتراب والزمن".[2]

ف " الشيء الذي يهمنا في المجتمع الناشئ هو الناحية التربوية في عملنا، لا الناحية الكسبية، إذ أن الناحية الكسبية لا تظهر إلا في المرحلة التي تطابق عند علماء الاجتماع "تقسيم العمل"".[3]، فالأولوية بالنسبة له هي تهيئة الطاقات الاجتماعية للوصول إلى هدف موّحد وهو تغير وضع الإنسان.

" إن توجيه العمل في مرحلة التكوين الاجتماعي بعامة يعني سير الجهود، الجماعية في اتجاه واحد، بما في ذلك جهد السائل ، والراعي، وصاحب الحرفة ، والتاجر، والطالب، والعالم، والمرأة ، والمثقف، والفلاح ، لكي يضع كل منهم في كل يوم لبنة جديدة في البناء".[4] كما أن" توجيه العمل إذا تضافر مع توجيه الثقافة وتوجيه رأس المال، سيفتح حركية اجتماعية واسعة تتجلى ثمراتها المادية في انتشار الفنون والمهن، والحرف، والصناعة، وهو ما يؤدي إلى رفع المستوى المعيشي للإنسان".[5]

" فتوجيه العمل هو تأليف كل هذه الجهود لتغيير وضع الإنسان ، وخلف بيئته الجديدة".[6]

---

[1] مصدر سابق، مالك بن نبي، شروط النهضة، ص107.

[2] مرجع سابق، بودقزام عمران، التجديد في المشروع الحضاري عند مالك بن نبي، ص250.

[3] نفس المصدر السابق، مالك بن نبي، شروط النهضة، ص107.

[4] نفس المصدر ، ص107.

[5] نفس المرجع، بودقزام عمران، ص251.

[6] نفس المصدر، مالك بن نبي، شروط النهضة، ص108.

ب- توجيه رأس المال:

" فرق الأستاذ في تحديده لهذا المفهوم بين رأس المال، والثروة ، حيث يرى أنّ الثروة تلقّب بلقب صاحبها فهي برأيه مال جامد، أمّا رأس المال فإنه ينفصل إسما عن صاحبه، ويصبح قوة مالية مجردة ، ويطلق بن نبي على رأس المال بهذا التحديد مصطلح " المال المتحرك"، وهو الذي يتّصف بخاصية القابلية للاستثمار، ذلك لأنّ سيولته المالية بين البلدان سوف تخلق حركة ونشاط ، وتوظف الأيدي والعقول، أينما وحيثما ارتحل".[1]

"ولقد سجل التاريخ أن بدء رأس المال قد ظهر مع ظهور الصناعات الميكانيكية، أي الصناعات التي من طبيعتها أن تجعل للمال دورا كبيرا يناسب مقتضياتها.

فالبلاد النائية التي تستورد منها المواد الأولية، ثم المصانع التي تحول فيها تلك المواد إلى سلع ومنتجات، ثم الأسواق التي تصرف فيها تلك السلع، كل ذلك قد جعل للمال دوراً متسعا، يخرج عن نطاق استعمال الفرد الخاص، ومحيطه، إلى محيط ينتقل فيه من بلد إلى بلد، مقيما لشبكة العلاقات الاقتصادية بين البلدان ، ويصبح بذلك قوة ممولة ، يطلق عليها 'رأس المال"، ولا شك من التنقل بين البلاد ، يخلق حركة ونشاطا، ويوظف الأيدي أن المال الذي تصبح هذه حاله ، والعقول، أينما حل وحيثما ارتحل"[2]

" ومن خلال تكامل هذا البرنامج التوجيهي، (توجيه الثقافة، وتوجيه العمل، وتوجيه رأس المال) يكون الإنسان قد استكمل الشروط اللازمة لتشييد حضارة، وإعادة بنائها بما يتطابق مع إطاره الخاص، وبذلك تتجسّد فيه خاصية القابلية للإعمار الحضاري ، التي تعد من مستلزمات الخلافة في الأرض".[3]

---

[1] نفس المرجع، بودقزام عمران، ص251.

[2] نفس المصدر، مالك بن نبي، شروط النهضة، ص111.

[3] نفس المرجع، بودقزام عمران، ص252.

المبحث الثاني: قراءات في مشروع مالك بن نبي.

1-موقع مالك بن نبي من الفكر الإسلامي المعاصر:

إن حركة الإصلاح والتجديد التي شهدها العالم الإسلامي في العصر الحديث وفي أيامنا هي محاولات للتجديد الحضاري قام بها العديد من المفكرين " كجمال الدين الأفغاني" و"محمد عبده"و"إبن باديس" وغيرهم لإصلاح النفوس من الجهل والأوهام والخرافات وتنقية العقول من الأوثان وإصلاح العقيدة وإزالة الاستعمار والقابلية للاستعمار، وكان "مالك بن نبي" واحد من هؤلاء الذين نالوا شرف القيام بهذه المهمة النبيلة التي لا تؤتى لأي أحد".[1]

فما موقع مالك بن نبي من خط الإصلاح والتجديد؟ .

تميز بن نبي عن الحركة الإصلاحية "التي قادها الأفغاني ومحمد عبدو وإقبال والكواكبي ورشيد رضا، لأن هؤلاء توقعوا أن يعود العالم الإسلامي إلى أحضان التاريخ في صفة كيان حضاري موحد، أما بن نبي فكان يرى أن العالم الإسلامي ليس كيانا معزولاً عن بقية العالم ، أو قادراً على مواصلة تطوره دون التأثر بالآخرين والتأثير فيهم ، ويعتقد بن نبي أن العالم الإسلامي موجود في الدراما الإنسانية بصفتيه فاعلا وشاهدا ، ويفرض عليه هذا الوجود أن يوفق بين حياته المادية وحياته الروحية ومصير الإنسانية ...إنّ نهضة الإسلام لايمكنها أن تحصل إلا في شكل إسهام داخل مجموعة عالمية كان يسميها " الحضارة الإنسانية".[2]

يرى مالك بن نبي:" أن رد الفعل الذي قام به المجتمع الإسلامي، ظهر على شكل تيارين فكريين رئيسيين ، التيار الأول الذي يخط طريقه كما قلنا منذ عصر ابن تيمية كما يخط الماء مجراه في باطن الأرض ، ثم ينبجس من هنا وهناك ممثلا في مصلحين من أمثال محمد بن تومرت ومحمد بن عبد الوهاب ، وهو تيار الإصلاح الذي ارتبط بالضمير المسلم،

[1] مرجع سابق، جيلالي بوبكر، البناء الحضاري عند مالك بن نبي، ص135.

[2] مرجع سابق، بشير ضيف الله، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، ص136-137.

ثم جاء الضمير الذي يعكسه وهو ضمير جمال الدين الأفغاني، وأما التيار الثاني فهو الذي أسماه بن نبي "الحركة الحديثة".

1-**تيار الإصلاح:** وكان هدفه الأول أن يقوض دعائم الحكم الموجودة آنذاك كيما يعيد بناء التنظيم السياسي في العالم الإسلامي 'الأخوة الإسلامية' التي تمزقت في صفين وفقا لرأي بن نبي الذي يردده مراراً في كتبه".[1]

وهذا التيار يرى أن الأمة الإسلامية تحتاج إلى إصلاح وعلاج لا يكون إلاّ بالرجوع إلى المبادئ والقيم التي جعلت المسلمين الأوائل قادة الإنسانية وصناع الحضارة في المقابل.

2-**تيار الحركة الحديثة:** في مقابل مدرسة الإصلاح كان هناك مدرسة "الحركة الحديثة" كما يسميها بن نبي قائلاً: إنه بينما كانت الأولى تنشر بحكم مشربها فكرة إسلامية فتية كانت الثانية تحاول أن تدخل إلى الحياة الإسلامية عناصر ثقافة جديدة".[2]

وقد قادته النخبة المثقفة المتخرجة من الجامعات الأروبية، يعتقد أن النهضة لايمكن أن تتطور إلاّ باندماجها في ركب الحضارة المعاصرة وأن ننطلق من قيمها وأفكارها ومناهجها، فقد " صدرت الحركة الحديثة عن المدرسة التي جلبها الاستعمار لأبناء المستعمرات ، وهي المدرسة التي يصفها بن نبي بهذا الإيجاز:" مدرسة تتفق ونظريته إليهم".[3]

"إن الظروف الاستعمارية المحيطة بأهم مراحل حياته كانت ضرورية بوجه ما لتحريك الفعل الحضاري والفكري في مجتمع تستحقه الغطرسة وينالله التنكيل، وتصهره مرحلة الدعوات التبشيرية، والتنصيرية، ولا يمكن لأي حال الفصل بين ما تعيشه الجزائر، والأقاليم العربية الأخرى، لأن هذا التداعي يصب كله في نطاق تراجع الدّور الحضاري للأمة العربية أو الإسلامية في فكر مالك بن نبي فكان لابد من التعرف على أعراض هذا الداء الذي يحاول المستشرقون أن يحددوه في ضياع واحد، وهو الإسلام الذي اعتبروه السبب الوحيد

[1] محمد شاويش، مالك بن نبي والوضع الراهن، دار الفكر ، دمشق، ط.1، 2007، ص55.

[2] المرجع نفسه، ص65.

[3] المرجع نفسه، ص 65.

المباشر في تخلف هذه الأمة، وهو ماجعل مالكا يدخل في معارضات ومناظرات كثيرة لرّد هذه الزيغ فالمشكلة في رأيه ليست البحث عن طرق حصار العلل ، وإنما في كيفية انطلاقه، والإقلاع من جديد بدءاً من القدرات الباقية أو الكامنة بمحاولة إحياءها، وتهيئتها لميلاد حضاري آخر".[1]

ومن الموضوعات التي شغلت بال "مالك بن نبي" الفكر الإصلاحي الديني والاجتماعي الذي شهده العالم العربي والإسلامي، والمصائب التي حلّت به، فدرس وحلله، فهو يرى أن الدعوة إلى النهضة والإصلاح والتجديد التي شغلت بال المصلحين المحدثين تعالج موضوعات كثيرة مثل"الاستعمار والجهل هنا، والفقر والبؤس هناك، وانعدام التنظيم، واختلالالاقتصاد أو السياسة في مناسبة أخرى ،ولكن ليس فيها تحليل منهجي للمرض، أي دراسة مرضية للمجتمع الإسلامي ، بحيث لا تدع مجالاً للظن حول المرض الذي يتألم منذ قرون".[2]

" إن الرأي الشخصي أو المزاج أو المهنة حسب "مالك بن نبي" معطيات لا تسمح بإقامة الموضوعية في التحليل والتصور والتفسير، فكل مصلح وصف الوضع وحلله تبعا لمعطى ذاتي معين، 'فرأي رجل سياسي كجمال الدين الأفغاني: أن المشكلة سياسية تحل بوسائل سياسية، بينما رأي رجل دين كالشيخ محمد عبده أن المشكلة لا تحل إلاّ بإصلاح العقيدة والوعظ ...إلخ على حين أن كل هذا التشخيص لا يتناول في الحقيقة المرض بل يتحدث عن أعراضه" ، لعل أهم ما شغل بال مالك بن نبي وجعله من المفكرين القليلين يضعك في سياق بن خلدون الذي تقدم على زمانه، موقفه من الحراك الإصلاحي الإسلامي في عصره، إذ كان مفكرو النهضة والإصلاح في العالم العربي والإسلامي اضطلعوا بالدفاع عن الهوية وتحسين صورة الإسلام وشرح تعاليمه في وجه الهجمات التي يتعرض لها باستمرار وفي وجه مساوئ الإيديولوجيات الاخرى الغربية والشرقية ، ففلسفة الحضارة والتاريخ لدى بن

[1] مرجع سابق، بشير ضيف الله، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، ص34.

[2] مصدر سابق، مالك بن نبي، شروط النهضة، ص58.

نبي تجاوزت موضوع الهوية والدفاع عن الدين وغصبت على تحليل الواقع المعيشي بمنهج علمي يركز بالدرجة الأولى على أسئلة الحضارة".[1]

ولقد كان مالك بن نبي ناقداً، انتقد حركة النهضة ونظر إليها نظرة تحليلية ، وأبرز فيها المساوئ والمحاسن ، كما انتقد وضع المسلمين وما آل إليه حالهم من تعاسة وبؤس ومن انحطاط حضاري، واهتم كثيرا بقضية الإصلاح والتجديد، وتمحور فكره على مسألة الحضارة التي إهتم بها المفكرون المسلمون في العصر الحديث مثل "جمال الدين الأفغاني" و"محمد عبده" وغيرهما، حيث انتقد مالك بن نبي فكره واكتشف عيوباً منهجية في حركة الإصلاح عندهم ومع تقديره للكثير من الجوانب الإيجابية فيها فهو يرى " بأن الحركة الإصلاحية لم تهتم بالفكر باعتباره أداة إيجابية ذات فعالية وحركة، ولكنها نظرة إليه باعتباره زينة وترفا فافتقدت الفعالية المطلوبة التي تعتبر عنده من الأسس الأولى التي يجب الاهتمام بها ليكون للفكر أثره الإيجابي".[2]

أما فيما يخص تيار التجديد فيرى مالك بن نبي أنه أكثر سطحية من تيار الإصلاح وأقل عمقا منه، فهي مجرد تقليد وتكديس ما ينتجه الغرب، كما أنها ظلت غير فعالة ومعزولة عن واقعها، فهذه الحركة ليس لها في الواقع لا نظرية مكتملة ولا مشروع واضح ن لا في الأهداف ولا في الوسائل فهي مجرد انبهار بالآخر، فهو يرى بأن لكل شعب أو أمة خصائصهم التي تتسم بها الحضارة التي يقيمونها ، لذلك الحضارة لا تقلد ولاتستنسخ ولا تشترى ، اعتبر أن المشكلة ليست في الدين كما يزعم هؤلاء ولو أن الأمر كذلك كيف قامت الحضارة العربية فإسلامية على الدين وعلى عقائده وعلى أفكاره وكانت حضارة عظيمة ملأت الدنيا نوراً وعلما وإشعاعا.

---

[1] جيلالي بوبكر،مكانة مالك بن نبي في الحركة الاصلاحية في العالم الاسلامي المعاصر، مجلة العصور الجديدة، العدد5، 2012 م، ص253.

[2] مصدر سابق، مالك بن نبي، وجهة العالم الاسلامي، ص13.

" تقوم فلسفة الإصلاح والتجديد عند "مالك بن نبي" على أنّ مشكلة كل شعب من الشعوب أو أمة من الأمم هي مشكلة حضارة لاغير، هناك الأمة المتحضرة التي تنعم بالسمو الروحي والأخلاقي، والتطور الفكري والعلمي والازدهار والنماء الاقتصادي، والانسجام والتناسق الاجتماعي ينال فيها كل فرد مطالبه وحاجاته كما يقوم بواجباته وما عليه نحو مجتمعه وهناك تجمع إنساني يفتقر تماماً إلى عناصر الحضارة ومعالمها تسوده الهمجية والفوضى والتوتر، فيه يأكل القوي الضعيف، ويحكمه " قانون الغاب" والعالم الإسلامي شهد حضارة راقية بلغت أوجها وأسدل عليها الستار بعد عهد الموحدين، وهو يعيش حاليا في التخلف والانحطاط في مختلف جوانب الحياة، أما العالم القوي الحديث فيحيا حضارة راقية في منتجاتها العلمية والفكرية والتكنولوجية، وأثرت على حياة المسلمين والشعوب المتخلفة الأخرى، طبعتها بطابعها على الرغم من كونها تنطوي على أشياء تتعارض مع القيم والانتماءات الذاتية للشعوب المتخلفة وخاصة الشعوب الإسلامية".[1]

ففكرة الإصلاح والتجديد جاءت نتيجة واقع المسلمين المتردي ، وتشكل محاولة فكرية لتغيير النفس والفكر والواقع في العالم الإسلامي، تميزت بالقوة لارتباطها بالإسلام وبالعلوم المزدهرة وبالفكر الإسلامي.

يرى مالك بن نبي أن " كل حضارة هي تركيب بين عناصر ثلاثة هي الإنسان والتراب والوقت والعنصر المركب بين هذين العناصر الثلاثة هو الدين أو الفكرة الدينية ، فالإنسان باعتباره خليفة الله في الأرض كرّمه الله بقوى كبيرة فكرية وحسية، بها يستطيع أن يغيّر واقعه ويسخره لضمان مراميه وتحقيق مطالبه المختلفة، فهو كائن ليس كبقية المخلوقات الأخرى له من القوة ما يجعله سيد الوجود، ويحتل القيمة في هرم الكائنات، أما التراب فهو المادة التي تخضع للتكيف البشري، وتسخر لراحة الإنسان وخدمة مصالحه، أما الوقت فهو ذو طابع تاريخي اجتماعي حضاري، خلاله يتم العمل الفكري واليدوي وخلاله يحصل تكييف الواقع الطبيعي وتسخيره وتحويله من صورة غير نافعة إلى أخرى نافعة ، وذلك هو عين التجديد الحضاري".[2]

[1] مرجع سابق، جيلالي بوبكر، البناء الحضاري عند "مالك بن نبي"، ص136–137.

[2] المرجع نفسه، ص138.

2-أراء وشهادات حول فكر مالك بن نبي:

يقول الدكتور مصطفى السباعي أنه" استطاع بأسلوبه الذي نفرد به، وثقافته الغربية الواسعة مع ثقافته العربية الإسلامية أن يوجه إليه أنظار جيل من شبابنا المثقف الذي يتوق إلى الإصلاح مع احتفاظه بقوة العقيدة، وسلامة التفكير، وبدأ يرى في الأستاذ بن نبي رائده الفكري البعيد النظرة، القوي الإيمان، المناضل بقلمه في سبيل الإسلام ..."[1]

يقول الأستاذ عمر المسقاوي:

"تنطلق أفكار بن نبي لا لتصنيف في المجتمع الإسلامي معرفة جديدة بالفقه، أو علما مستخلصا من تجارب الحضارة الحديثة، بل لتنظيم هذه المعارف في مفاهيم تربوية تسير بالإنسان خطوة متقدمة فهو يطرح الإسلام كملهم لقيمنا، وقادر على استعادة دور الإنسان مبرأ من ثقل الحضارة الإمبراطورية، وهو يرى أن الإسلام لا يقدم إلى العالم ككتاب، وإنما كواقع اجتماعي يسهم بشخصيته في بناء مصير الإنسانية ..."[2]

ومما قال عنه " أنور الجندي"

"مالك بن نبي يختلف كثيراً عن الدعاة المفكرين، والكتاب فهو فيلسوف أصيل له طابع العالم الاجتماعي الدقيق الذي أتاحت له ثقافته العربية والفرنسية أن يجمع بين علم العرب وفكرهم المستمد من القرآن والسنة والفلسفة والتراث العربي الإسلامي الضخم، وبين علم الغرب، وفكرهم المستمد من تراث اليونان، والرومان، والمسيحية".[3]

وهو ما يؤكده بدوره الأستاذ "محمد المبارك" حيث يقول " إنه عربي مسلم، ليس هو من المجتمع الأروبي الذي عاش فيه بجسمه في شيء ، وكان تعمقه في الثقافة الأروبية سببا في تحرره من نفوذها، ومعرفته لمصادرها، ولدوافعها الخفية وبواعثها العميقة، ولاسيما أنه جمع

[1] مرجع سابق، بشير ضيف الله، ص126.

[2] مرجع سابق ، ص127.

[3] نفس المرجع، بشير ضيف الله، ص129.

إلى جانب الثقافة العلمية ثقافة فلسفية واجتماعية واسعة الإرجاء، عميقة الأغوار، كما تدل عليه آثار، ومؤلفاته العديدة التي قرأناها ..."[1]

" ولقد نسب إلى رئيس وزراء ماليزيا الأسبق ورائد نهضتنا محاضير محمد قوله :'إن أفكار مالك بن نبي هي أساس النهضّة الحديثة لماليزيا' حيث ارتقت أفكاره في البلاد الماليوية في جنوب شرق آسيا فتجسدت من خلال التجربة الماليزية، ليتجلّى بذلك هذا الاتصال الفكري في مجال النهضة من خلال أسس نهضوية مشتركة."[2]

أ- الانتقادات الموجهة إلى فكر مالك بن نبي:

الجانب النقدي في شخصية مالك بن نبي أبعد عنه الأصوليون أو المدّينون، كما أن تمسكه بالأصول والدين ومرجعية الدينأيضا عامل أبعد عنه الحدثيين العلمانيين "تعرض الفكر الإصلاحي عند "مالك بن نبي" كغيره إلى انتقادات عديدة من قبل النقاد والباحثين في مرجعيته ومعالمه، وحتى في أهدافه ومن المعالم التي نالها الانتقاد نظرية الحضارة والظروف التي أوحت بها ، فهي نظرية ذات طابع شمولي في عناصرها ومبادئها وأهدافها ، ذلك ما أراده صاحبها الذي خطّ لها انطلاقا من ظروف تاريخية واجتماعية وفكرية ارتبطت بالعالم الإسلامي المتخلف، وبالعالم الأروبي المتحضر، وما تميزّ به الأروبي صاحب حضارة وقوة واستعمار، بحيث يرى البعض أنّ "مالك بن نبي" وقع فيما وقع فيه "إبن خلدون " في تحديده لأعمار الحضارة وأطوارها فهو لم يفعل شيئاً سوى أنّه استبدل كلمة الدولة في الفكر الخلدوني بالحضارة وفي نظريته، رغم انتقاده"لإبن خلدون" في هذه المسألة"[3]

"ما يعاب على فكر "مالك بن نبي" وصفه للمرض الذي يعاني منه المسلمون في انحطاطه وتخلفهم، وتحديده لوصفة الدواء والعلاج هذا من جهة، ومن جهة أخرى وصفه

---

[1] نفس المرجع ، ص129.

[2] سالم فتيحة ،النهضة عند مالك بن نبي قراءة أم استشراف النهضة الماليزية نموذجا، أفاق فكرية، جامعة الجزائر، 2018، salemfatihanawel@gmail.com .

[3] نفس المرجع، ص139.

للقوة التي تميّزت بها الحضارة الغربية، وتميّز بها الفكر الغربي، وتحديده لدواعي تلك القوة ومرجعيتها، فالتخلف يعود إلى مايعود إليه الاستعمار ومن وراء الاستعمار القابلية للاستعمار التي تميزت بها الشعوب الإسلامية ، ولمواجهة هذه الظاهرة، راح يقبل بكل الحلول في "مؤتمر باندونغ" فكتب حولة كتابه "الفكرة الإفريقية الأسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ"، مؤمنا بأن اللقاء الأفروأسيوي سبيل لتصفية الاستعمار والقابلية للاستعمار، وطريق إلى حضارة جديدة تضاهي الحضارة الغربية وتبرزها، وأهمل التباين بين شعوب آسيا والشعوب الإسلامية: " كيف يمكن للمسلم – إذن – أن يستلهم التراث الهندوسي مع وجود هذه الفروق الأساسية في النظرة إلى بعض مجلات الكون والحياة والإنسان . ويرجع فشل نظرية في تطور اقتصاد المانيا إلى المعادلة الإنسانية، "وتحديد المعادلة الإنسانية للإنسان الأفروأسيوي فيبين أنها تحتوي على عدم إحساس الزمن".[1]

"من نتاج الفكر الإصلاحي عند "مالك بن نبي" ويعدّه البعض من الأخطاء الفكرية التي وقع فيها ونتج عن معامل القابلية للاستعمار إعطاءه للتراب قيمة زائدة عن حدوده، ومعادلته: إنسان+ تراب+ وقت= حضارة.والحضارة الغربية تستغل التراب أحسن استغلال وتستثمر الوقت أحسن استثمار لكنها أوجدت أضراراً ومهالك للإنسان لم تشهدها البشرية من قبل واستغلال الإنسان – وهو مقياس الحضارة – للتراب والوقت لا ينتج بالضرورة حضارة بل قد ينتج دماراً وخراباً وتصدق المعادلة:

إنسان+ تراب+ وقت= دمار" والوضع الصحيح للمعادلة هو: إنسان متوازن= حضارة "إن الفكر الإصلاحي عند "مالك بن نبي" في نظر الباحثين فكر تبريري وترميمي وليس فكرا يوجد ويصنع".[2]

رغم كل الانتقادات والأخطاء التي وجهت لفكر مالك بن نبي فإن هذا لا يمنعنا من الاستفادة من الإيجابيات لفكره، وذلك راجع لخبرته في نهضة المجتمعات وأمراض المسلم المعاصر.

[1] نفس المرجع، ص140.

[2] نفس المرجع، ص141.

خاتمـــــــة

نخلص في الأخير إلى أن مالك بن نبي هو فيلسوف سبق فكره عصره ،و يعد من أحد أعمدة الدراسات الحضارية المعاصرة في القرن العشرين، وقف حياته للإصلاح، وعمل في ميدان الفكر ولم يعمل في مجال إختصاصه مهندسا كهروبائيا، لأن شعوره بالخطر الإستعماري والمعانات التي عاشها مع الشعب الجزائري جعلته يجيب كل من يسأله " بلدي حاليا بحاجة إلى مفكر أكثر من حاجته إلى مهندس "

كان دقيقا جدّا في التمييز بين جذور الأمراض وأعراضها البّراقة التي أصابت المجتمعات الإسلامية فكان دائما ينبّه في كتبه إلى ما نراه من مشكلات وسلبيات في المجتمع الجزائري بشكل خاص، وفي العالم الإسلامي بشكل عام، وهو في الحقيقة إلاّ نتيجة لعوائق نفسية أو فكرية أو إجتماعية، تقف وراء تلك المشكلات الظاهرية وتغذيها بشكل خفي وأن الداء والمرض فينا، متغلغل في أنفسنا وأفكارنا بشكل عميق، وإذا أردنا النهوض علينا بإصلاح أنفسنا أولاً وليس بشئ آخر لأن شروط إقلاع المجتمع نحو الحضارة حسب رأيه ليست مادية وغياب المادة الملموسة لايعني عجز هذا المجتمع ولا عجز الدولة نحو الإقلاع إلى التطور، بل هي فكرية تضم الأفكار والثقافة فالدمار الذي حدث في المجتمعات الإسلامية مسّ العقل الذي جمد الفكر. ولكي نقلع ونركب عجلة التطور يجب أن نهتم بعنصر الإنسان فالثروة الحقيقية لأي مجتمع هي الإنسان بحد ذاته ويظهر ذلك في قوله " إذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ وإذا سكن سكن المجتمع والتاريخ"، فمالك بن نبي يبحث في شئ مهم في الإنسان وهو الفاعلية وفاعلية الإنسان هي حضوره والمشاركة في تاريخ القرن العشرين .

وعليه إستطاع مالك بن نبي بأسلوبه المنفرد وثقافته الغربية الواسعة مع ثقافته العربية الإسلامية أن يوجه إليه أنظار جيل من الشباب الذي يتوق إلى الإصلاح مع الإحتفاظ بقوة العقيدة، وسلامة التفكير وهو يطرح الإسلام ملهما للقيم وقادرا على إستعادة دور الإنسان، مبرأ من ثقال الحضارة الإمبراطورية كما أنه يرى أن الإسلام لا يقدم إلى العالم كتابا وإنما واقعاً إجتماعيا يسلم في شخصيته في بناء مصير الإنسانية.

كانت هذه أفكار مالك بن نبي بمثابة نور يستضيء به كل مثقف، وكل مصلح، بل كل مواطن بسيط، لأن كل مصطلح من أفكاره كان بمثابة عنوان مركز لعائق من العوائق التي نعاني منها من حيث لا نشعر، وهنا مكمن الخطر في هذه العوائق فغالبنا لا يتفطن لها.

بيبليوغرافيا

بيبليوغرافيا

❖ **القرآن الكريم:**

المصادر باللغة العربية:

1ــ بن نبي مالك،تأملات، دار الفكر، دمشق، ط1، 2002.

2ــ بن نبي مالك، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصابور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط1986،1.

3ــ بن نبي مالك، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصابور شاهين ، دار الفكر، دمشق ، ط4.

4ــ بن نبي مالك، شروط النهضة، ترجمة عبد الصابور شاهين ، دار الفكر، دمشق، د.ط، 1986 .

5ــ بن نبي مالك، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصابور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط3، 1986.

6ــ بن نبي مالك ،مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة أحمد شعبو ، دار الفكر، دمشق، ط1، 2002 .

7ــ بن نبي مالك، القضايا الكبرى ، دار الفكر، بيروت، ط1، 1991.

8ــ بن نبي مالك، دور المسلم ورسالته، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 1979 .

9ــ بن نبي مالك ، بين الرشاد والتيه ، دار الفكر، الجزائر، ط2 ، 1988 .

10ــ بن نبي مالك ، في مهب المعركة ، دمشق ، دار الفكر، 1981 .

11ــ بن نبي مالك ،تبسيط مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة محمد عبد العظيم علي ، دار الدعوة ، الإسكندرية ، ط1 ، 1997 .

12ــبن نبي مالك، الفكرة الآفروآسوية، ترجمة عبد الصابور شاهين، دار الفكر، الجزائر، 1986.

13ــ مالك بن نبي ، وجهت العالم الإسلمي، ترجمة عبد الصابور شاهين ، دار الفكر، الجزائر ، 1986.

المصادر با للغة الفرنسية:

1- Malek bennabi ,leprobléme des idéés de mondmusluman ,p1990 .

المراجع باللغة العربية:

1ــ بوعرفة عبد القادر، الحضارة ومكر التاريخ تأملات في فكر مالك بن نبي ، رياض العلوم ، الجزائر، ط1 ، 2006 .

2ــ الخطيب سليمان ، فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي ، بن مرابط ، الجرائر، د.ط ، 2014.

3ــ الخطيب سليمان ، فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي دراسة إسلامية في ضوء الواقع المعاصر ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1، 1923.

4ــ عمران بودقزام، التجديد في المشروع الحضاري عند مالك بن نبي ، دار الهدى ، الجزائر ، د.ط ، 2015.

5ــبوبكرجيلالي ، البناء الحضاري عند "مالكبن نبي" ، دار المعرفة ، الجزائر ، د.ط ، 2010.

6ــ خالد السعد نورة ، التغيير الإجتماعي عند مالك بن نبي دراسة بناء النظرية الإجتماعية ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ، ط1997،1.

7ــ العويسيعبد الله بن محمد ، مالك بن نبي حياته وفكره ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2012.

8ــ العبدة محمد ، مالك بن نبي مفكر إجتماعي ورائد إصلاحي ، دار القلم ، دمشق ، ط1، 2006.

9ــ الشمري غازي ــ ياشوش جعفر ، مالك بن نبي بين التمثيل والإبداع ، دار نينوى، ط1 ، 2017.

10ــ ضيف الله بشير، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي ، منشورات المجلس ، الجزائر، 2005.

11ــ السحمراني أسعد ، مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا، دار النفائس، د.ط ، 1986.

12ــ شاويش محمد ، مالك بن نبي والوضع الراهن، دار الفكر، دمشق، ط.1 ، 2007.

الموسوعات والمعاجم :

1ــ مذكور إبراهيم ،المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، د.ط ، 1983.

2ــ لالاند أندريه : موسوعة الفلسفة ، مج1 ، ترجمة خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات ، بيروت ،باريس، ط2 ، 2001.

_المجلات والمقالات:

1ــ بكوش حورية، تبسيط مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي ، مخبر المحفوظات الجزائرية في إفريقيا، مجلة رفروف، جامعة أدرار، العدد العاشر، الجزائر، 2016.

2ــ لحرش موسى، مكانة الإنسان في عملية التجديد الحضاري للعالم الإسلامي عند مالك بن نبي ،المجلة الجزائرية للدراسات السوسيولوجية.

3ــ بوبكر الجيلالي، مكانة مالك بن نبي في الحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي المعاصر، مجلة عصورالجديدة، العدد5، 2012.

4- فتيحة سالم، النهضة عند مالك بن نبي قراءة أم استشراف النهضة الماليزية نموذجا، أفاق فكرية، جامعة الجزائر، 2018.

5- سعيدة سفاصن، الفكرة الدينية عند مالك بن نبي ودورها في خلق الفاعلية الحضارية، جامعة الجلفة.

الفهـــرس

الفهرس:

كلمة شكر

الإهداء

مقدمة .....أ-ج

الفصل الأول: الإنسان في معادلة الحضارة لدى مالك بن نبي

تمهيد.....**06**

المبحث الأول : الدلالات المفاهيمية في مشروع مالك بن نبي **07-25**

المبحث الثاني: تصور لإنسان في مشروع مالك بن نبي **26-52**

الفصل الثاني:الإسلام والتجديد الحضاري في فكر مالك بن نبي

تمهيد **54**

المبحث الأول : الفكرة الدينية ودورها في بناء الإنسان المعاصر **55-65**

المبحث الثاني : قراءات في مشروع مالك بن نبي.....**66-73**

خاتمة **75**

بيبليوغرافيا.....**77-79**

الفهرس